الحرية الإسلامية

آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

دار الفردوس / بيروت لبنان
١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

للحرية في الدين الإسلامي مكانتها السامية، حيث أطلقها هذا الدين الحنيف حتى في اختيار عقيدة الإسلام كما نصت على ذلك الآية الشريفة (أنا هديناه السبيل أما شاكرا و أما كفورا) والتاريخ الإسلامي مليء بقصص الحرية الواسعة الأبواب في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعهد أمير المؤمنين عليه السلام غير أن استلام الطواغيت لزمام الحكم في الدولة الإسلامية وكز على كل متنفس لهذه الحريات التي حباها الله تعالي بني البشر وظلت هذه المفردة حبيسة بين ملفات القراطيس والكتب،وأصبح الحديث عنها ضرب من الجنون في بعض العصور نظرا للنتيجة التي تؤول إليها من القمع والتشريد والقتل الاجتماعي.

وفي ظل الصحوة الإسلامية الحديثة، وتوق المسلمين لمعرفة حقيقة دينهم كان من الواجب على العلماء أن يسلطوا الأضواء على هذه الجوانب التي تخفى تفاصيلها عن الكثير من المسلمين،وللإمام الشيرازي (دام ظله) مؤلفات كثيرة وبحوث متعددة في الحريات الإسلامية وقواعدها مما يجعله من المراجع القلائل الذين بحثوا في هذا الموضوع وكتابه هذا (الحرية الإسلامية) يضم بحوثا في الحريات السياسية في الإسلام وقد أرفقها سماحته بمحاججةالرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع رجال الأديان الأخري والمشركين وكذالك من مناظرات الأمام الرضا عليه السلام مع أرباب المذاهب الباطلة ليدلل بذلك على سماحة الدين الإسلامي وسعة الحرية في نقاش الرأي على أعلى مستويات في الإسلام والمتمثلة بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد

وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين تمهيد

إنهم يرمون الإسلام بما فيهم.. ويعزون إلى أنفسهم، ما في الإسلام، عادة الذين لا يعلمون، ويقصدون من وراء هذا وذاك تشويه معالم الإسلام ، وطمس مثله السامية، ومسخ قيمه الرفيعة، كي يتسنى لهم تقويض قيادته الحكيمة، وبعد ذاك... يخلو لهم الجو، فيأخذون أزمة العالم، ويستبدون بسلطانه.. فتصبح لمة ممن لا يصلحون سادة البحار،وجماعة من المرابين، كبراء التجار، وزمرة من الذين لا يؤمنون بالآخرة زعماء الجو و الأقمار ، وحفنة من كابتي الحريات حملة مشاعل الحرية

أغير هذا يقصدون؟ ولسوى الاستبداد والاستغلال

والسفك والنهب يطلبون؟ ثم أي عمل لهم لنجاة البشر من الويلات؟ هل الاختراع والاكتشاف

وكم أدى البشر ضرائب من ضحايا ودماء، ودموع وأعراض ، وأموال وديار.. من جراء قيادتهم المنحرفة؟وهل يعادل هذا بذاك؟ مع الغض عن كون الاختراع ولائد أفكار طيبة- وليس الكلام فيها- إنما الكلام في القيادة الغاشمة، وأي ارتباط بين القيادة والاختراع

نعم استغلوا الاختراع للهدم والتقويض.. والهلاك والدمار، بعدما كان من أدوات التشييد والبناء.. والازدهار والعمران، فالاختراع والمخترع هما الأخريان يندبان حظهما العاثر، من القيادات الأثيمة، والسلطات الجائرة

لقد أوقعوا البشرية في دوامة الحروب والثورات والقلاقل والفتن.. والتطاحن والتهاتر.. وأودوا فيها نار الحقد والبغضاء، والكراهية والشحناء ، حتى أصبح كل أخ عدو أخيه..! وكل إنسان ضد إنسان ، بعدما أخمد الأنبياء و الأئمة والمصلحون- عبر عمر الدنيا، إلى اليوم- نيران النفوس المشتعلة، وقبحوا جماح الشهوات البهيمية، باجتهاد متواصل، وعمل دائب

فهل هذه مؤهلاتهم للقيادة؟ وهل تلك جرم الأنبياء وشرائع السماء، حتى يستحقوا بها الإقصاء عن مجالات الحياة؟ وبعد ذلك كله..!! لا يرعوون أن يملئوا الدنيا عجيجا وصياحا: بأنهم أخرجوا البشرية من الظلمات إلى النور.. ومن العبودية إلى الحرية.. ومن الظلم إلى العدالة.ومن الباطل إلى الحق!!. أهذه نورهم وحريتهم وعدلهم وحقهم؟؟؟.. وقديما قالوا: ، يسمون الناس الأعمى بصيرا.. والزنجي كافورا

وقد جنّد الغرب والشرق، توصلا إلى مطالبهم المنحرفة، وتعزيزا لمكانتهم المسروقة، أقلاما مأجورة، وألسنة مزيفة.. لتشويه معالم الإسلام، ونسبته إلى الرجعية والجمود، وتوصيمه بأنه ليس إلا عبادة وطقوسا، ومسجدا، ومنارة!! وبذلك أضلوا البشرية- وفيهم بعض المسلمين عن سواء الطريق، فأمسوا يتخبطون خبط عشواء، في متاهات الحياة المظلمة، وينسابون زحفا على البطون في ادغال الجور والعبودية ، ولا منقذ لهم إلا الرجوع إلى إرشاد الأنبياء ، وهدايات السماء، وتعاليم القرآن، ودساتير السنة، وبهذا.. فقط.. يرجع إليهم الهدوء والسكينة، والرفاه والطمأنينة.. ويظلهم العدل والسلام، ويعود اليهم الإخاء والصحة والأمن

وفي هذه الرسالة عرض سريع لطرف من (الحرية الإسلامية) التي كان آبائنا يتمتع بها طيلة ثلاثة عشر قرنا حين كان القرآن دستورهم، والسنة منهاجهم، حتى سلبها الكافر المستعمر عنا منذ زهاء قرن، وأبدلها بالعبودية، بكل ما في الكلمة من معنى. ولا أراني بحاجة إلى الاستشهاد بكلمات الغرب أو الشرق، وإنما المهم أن نضع صفحة من أحكام الإسلام- في هذا الشأن- أمام الأبصار، ثم القارئ يقايس بينها وبين حالته الحاضرة، حتى يدرك أية القولتين أصدق: الإسلام دين الحرية.. أم القوانين الأرضية، التي يعيش في ظلها تقوّل الحرية..؟ والله المستعان

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

كر بلاء المقدسة- ١٣٨٠هـ

الدفاع عن الحرية

زوّد الله الإنسان بآلات وملكات.. وجعل في متناوله الكون الرحب، بما فيه من صنوف الحيوان.. وألوان الأشجار والأعشاب.. ومختلف البحار والأنهار.. وأقسام المعادن والركائز.. وجعل لكل حركة من حركاته.. وملكة من ملكاته.. حدودا معينة، لا يتعداها إلا النادر، ويبلغ الإنسان إليها إذا توفرت لديه الحريات الكافية، وساعده المجتمع والحظ، وتكاملت عنده الشرائط والمقتضيات وعند هذه المؤهلات تنمو الحياة، وتزدهر الحضارات، ويصل رقي الفرد والمجتمع إلى آخر مدى إمكانه، وبالعكس لو اختلت الشروط، وانعدمت المؤهلات.. فإن الحياة تذبل وتذهب بهجتها.. إلى أن تصل إلى مادة جوفاء، لا حس فيها ولا حراك..

لكن:.. كثيرا ما تصطدم الحريات بعضها مع بعض وذلك يسبب الفساد والخبال، وإفناء الطاقات

وإعدام المؤهلات.. شأن كل حركة وامتداد، أرأيت الطائرة المزودة بقوة الجري الهائلة؟ إنها مثال للحرية.. فلو لم تزود الطائرة بالأجهزة والآلات.. والدهون والزيوت.. لم تطر وكانت قطعة جامدة من الحديد.! ولو طارت بغير مقياس وهدى اصطدمت بالعمارات، واحترقت وهدمت الأبنية

وعلى هذا، فمن اللازم إطلاق الحريات، وتوفير شرائطها من ناحية.. وتحديدها بحدود الصلاح والحكمة، من ناحية أخرى.. وهذا هو شأن القيادة الصحيحة للفرد والجماعة، وقد لاحظ الإسلام الناحيتين، ووضع الخطط العامة، للسير بالبشرية نحو التقدم والرقي، بدقة وإتقان..

ليس هذا فحسب.. بل وقف من الحريات موقف المدافع المحامي، حتى أن كل جمود وقصور- في نظر الإسلام- محظور، وكل تعدي وتجاوز حرام.. ومن أراد الزيغ والتحوير، فالإسلام له بالمرصاد.

والحرية تتوفر في المجتمع الإسلامي على النحو الصحيح بشرطين أساسيين:

الأول شورى المراجع

حيث لولم يكن ذلك لم يكن الحكم صحيحا وان قام

به فقيه، وذلك لأن الفقهاء بمجموعهم نواب الإمام عليه السلام أو أن مجموعهم نائب نائب فكل من اختارته الأمة مرجعا للتقليد،وكان حسب الأوصاف التي قررها الله سبحانه على لسان أوليائه المعصومين عليهم السلام ،كان في ضمن الشورى أما أن يستبد فقيه بالأمر فذلك خلاف الموازين.

أرأيت لو أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أرسل جماعة من أصحابه لأن يحكموا اليمن، منهم: سلمان، وحذيفة، وعمار، وحبيب، والمقدد، أليس ذلك بمعنى حكمهم بمجموعهم بأكثرية الآراء؟ فلا يحق لأحدهم أن يستبد بالحكم ويعزل الآخرين بالقوة او بما أشبه القوة، كتهيئة الجو العام ضدهم حتى يعتزلوا هم بأنفسهم حذرا عن الغوغاء والهتك.

ومن الوا ضح أن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (اللهم ارحم خلفائي) وقوله عليه السلام : (فاني قد جعلته عليكم حاكما) وما أشبه يدل على حكومة أي فقيه اختارته الأمة مرجعا لتقليده، فأمور الصلاة، والصيام، والحج، وما اشبه، من الأعمال الفردية،أو شبه الفردية كالعائلية- تنوط بمرجع تقليده لا ربط لسائر مراجع التقليد فيها، أما الأمور العامة كالاقتصاد العام والحرب، والسلم، والسياسة العامة، والاجتماع العام بما يرتبط بكل الأمة فلا بد فيها اجتماعهم وتمشية الأمر بأكثرية الآراء

مراجع التقليد والرأي العام

وهنا سؤالان:

الأول: من أين أن المعيار تقليد قطاع من الأمة حتى يكون قول ذلك الفقيه حجة في الشورى، مع أن قوله (ص): يأتون من بعدي، وقوله (ع): (من كان من الفقهاء صائنا لنفسه) إلى غير ذلك، يشمل حتى الفقيه غير المرجع

الثاني: ما هو معيار تقليد قطاع من الأمة أ وإذا كان لاحدهم مائة مليون مقلد وللأخر مليون فهل هما بمنزلة

واحدة

والجواب عن الأول: أن الأمة مخيرة في تقليد من

تتوفر فيه الشرائط، أما واقعا كما إذا كانوا متساوين أو قلنا ان مع الاختلاف في ألا علمية والأعدلية والأوعية أيضا يكون لهم الخيار في تقليد الفاضل والمفضول- كما اختاره جملة من الفقهاء في الفقه- وذلك كما هو الحال في أئمة الجماعة المتعددين، والقضاة المتعددين والشهود المتعددين، فان إطلاق أدلتها يعطي اختيار الإنسان لأن يأم بهذا أو بذاك، أو يتقاضى الى هذا أو ذاك، أو يستشهد بهذين أو بهذين إلى غير ذلك

فإذا اختار قسم كبير من الأمة زيدا وقسم عمروا وقسم زراره كان له ذلك الحق، ومعنى ذلك أن الشارع صدق تقليده وجعل زمام الأمر بيده، وفي رواية علي (ع): (أن يختاروا). وبهذا تبين أن غير من اختير لا حجية في قوله بالنسبة إلى المختار لهم، فذلك مثل أن يكون هناك قاضيان لكل واحد صلاحية القضاء

فهل لأحدهما الحق في فيصلة الأمر والحال أن المتنازعين رجعا إلى الآخر؟ وإنما لا يكون له الحق لانصراف الأدلة عنه، ولو حكم- والحال انهما راجعا غيره- هل يكون حكمه نافذا

والجواب عن الثاني: انه حيث قد عرفت ان المعيار الشرائط الشرعية من العلم، والعدالة، وانتخاب الناس وما أشبه، فاللازم أن يلاحظ هل أن ا لأمة تنتخب صاحب المليون للحكم أم لا لحق ا أمة في تبعيض التقليد بأن تقول إني أقلد زيدا في ما عدا مسألة إدارته الحكم، أقلد عمروا في هذه المسألة فقط- على ما ذكره الفقهاء في بحث تبعيض التقليد،فإذا اختاروا صاحب المليون في الشورى كان منهم، وكانت النتيجة أنه صار صاحب عشرين مليون مثلا لتقليد

ألا تخبرني يا سيدي أهو في الخلق أم الخلق فيه؟ قال الرضا عليه السلام جل يا عمران عن ذلك، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه، تعالى عن ذلك، وسأعلمك ما تعرفه به ولا قوة إلا بالله، أخبرني عن المرآة أنت فيها أم هي فيك؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه

فبأي شيء استدللت بها على نفسك؟ قال عمران: بضوء بيني وبينها قال الرضا عليه السلام: هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر مما شراه في عينك؟ قال: نعم، قال الرضا عليه السلام: فأرناه، فلم يحر جوابا ، قال عليه السلام :فلا أرى النور إلا وقد دلك و دل المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالا، ولله المثل الأعلى

أداء الصلاة.. ثم العودة إلى المناظرة

ثم التفت إلى المأمون فقال: الصلاة قد حضرت

فقال عمران: يا سيدي لا تقطع علي مسألتي فقد رق قلبي قال الرضا عليه السلام: نصلي ونعود، فنهض ونهض المأمون فصلى الرضا (ع) داخلا، وصلى الناس خارجا خلف محمد بن جعفر، ثم خرجا فعاد الرضا ،عليه السلام إلى مجلسه ودعا بعمران فقال: سل يا عمران، قال: يا سيدي ألا تخبرني عن الله عز وجل هل يوحد بحقيقة أو يوحد بوصف؟ قال الرضا (ع): إن الله المبدىء الواحد الكائن الأول لم

الشأن في مكان، وبمراجعة الفقهاء يحكمون بالأكثرية ويمضي الفقهاء ذلك

حال ذلك حال الأمم المتحدة، أو جامعة الدول العربية، أو منظمة الوحدة الأفريقية أو ما أشبه ذلك- ولا مناقشة في المثال- حيث يرجع الممثلون إلى رؤساء حكوماتهم، وبعد أخذ موافقتهم يظهرون الرأي، والنتيجة إصدار الأمر بأكثرية آراء الدول

وهنا يبقى سؤال: أنه كيف يحكم القضاة المنصوبون

من قبل السلطة القضائية المستندة إلى شورى المرجعية، في مورد الاختلاف في الأحكام مثلا، في نزاع خاص، أحد الفقهاء يرى أن الدار لزيد، وآخر يرى أن الدار لعمرو، فهل يحكم القاضي برأي هذا أو رأي ذاك؟والجواب:إنه إذا كان القاضي مجتهدا جامعا للشرائط- كما هو الرأي المشهور في باب القضاء حيث لا يجوّزون قضاء غير المجتهد العادل الجامع للشرائط- فهو يحكم حسب رأيه، على ما ذكرناه في الفقه، من أن الأمر كذلك حتى فيما إذا كان المتنازعان عند القاضي مجتهدين جامعي الشرائط

أما إذا لم يكن كذلك بل فاضلا عادلا، لا مجتهدا

كما هو رأي البعض، ولم نستبعده في الفقه، فان كان هناك أكثرية آراء في المسألة يعمل عليها- فيما كان المتنازعان من تقليدين و إلا فهما يأخذان برأي مرجع واحد، وهو يحكم لهما بذلك الرأي من غير محذور- وذلك لأدلة الشورى. وان لم يكن أكثرية آراء، مثلت كان شورى المراجع من ستة، وكان نصفهم يرى الحكم الذي يقتضي أن الدار أو الزوجة لزيد ونصفهم الآخر يرى انهما لعمرو، فان أمكن القرعة فهي لكل أمر مشكل، والمورد من صغرياته، وإلا كان المحكم قاعدة العدل كما في الماليات أو الاحتياط كما في الفروج، ثم البحث عن مثل ذلك ليس بمهم بعد إمكان إحالة

فيصلة مثل هذه المشكلة، وان القاضي كيف يحكم في مورد الاختلاف بين المجتهدين أصحاب الشورى؟ إلى نفس شورى المراجع، فما استقر عليه رأيهم بأكثرية الآراء يعمل القضاة على طبقه

أما كيف يمكن جمع الفقهاء المراجع في شورى ألحاكمية العامة على الأمة، فان ذلك ممكن بسبب الرأي العام، فان للرأي العام من القوة والضغط، ما يسقط الدول ويأتي بالدول، كما رأينا كيف أسقطت حكومة بريطانيا عن الهند بعد أن تعشعشت فيها ثلاثة قرون، وأتى بالدولة

الحالية، وله أمثلة في التاريخ، حتى إن الرسول ،ص

على عظمته، لاحظ الرأي العام، حيث يروى عنه ،ص

أنه قال لبعض زوجاته (لولا أن قومك حديثو عهد بالإسلام لهدمت الكعبة وجعلت لها بابين) فانه (ص) تجنب أن يكون الرأي العام ضده- على فرض صحة هذا الحديث فيما لا يهم بقدر أهمية جمع الناس تحت راية: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)وفي رواية أخرى ينقل عنه (ص): انه بعد قصة المؤامرة ضده في ليلة العقبة قال: (لولا أن الناس يقولون أن محمدا (ص) استنصر بجماعة من بصحابه ثم لما قوي أمره

لضربت أعناقهم)وهكذا نشاهد جملة من القصص الأخرى التي سجلت

الرأي العام فيها ترك المعصوم (ع) ما أراده ترجيحا للأهم

على المهم- وهي قاعدة فقهية معروفة، جذورها في القرآن الكريم، حيث قال سبحانه: (

ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة و معارج عليها يظهرون، بالإضافة إلى أنه حكم العقل، وقد قام عليه الإجماع

مما يظهر ذلك من فتواهم بتقديم الزنا على الموت في قصة

رفع علي (ع) الحد عن الزانية اضطرار ، وفتواهم بأن المسلمون يقتلون إذا تترس بهم الكفار، وقد طرد رسول الله ص، المسلمين الذين جاؤوا إليه بعد المعاهدة مع الكفار تقديما للعهد حيث شكلوا فرقه بين مكة والمدينة في قصة مشهورة، وصلى على ابن أبي وقام على قبره لما كان لذلك من الأهمية في جذب أناس إلى الإسلام مع أن القاعدة العامة هي قوله سبحانه: (ولا تصل على أحد منهم مات أبد، ولا تقم على قبره إلى غير ذلك مما يحتاج إلى رسالة مستقلة،وكذلك سبب ضغط الرأي العام على علي ،ع فرفع يده عما أراده ، في قصص مشهورة

أما قصص ضغط الرأي العام على الحكام فهي كثيرة،

وقصة ضغط الرأي العام على يزيد في إذنه لصعود الإمام السجاد (ع) المنبر أشهر من أن تذكر، وقد كان يعلم أنه إن صعد لا ينزل إلا بفضيحة يزيد وفضيحة آل ابي سفيان،وأنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقا كبيرهم لا يقاس وصغيرهم جمرة لا تداس... وهكذا كان، فقد صعد (ع) المنبر ولم ينزل ألا بفضيحتهم الباقية إلى اليوم بعد اكثر من ثلاثة عشر قرنا، وبنفس الرأي العام الضاغط افرج عنهم (ع) وأذن لهم في إقامة العزاء

كما أن أحد الخلفاء كان يحب جارية له اسمها ، دريرة ففوض الأمر إلى وزرائه وبنى خارج البلد في محل حسن الماء والهواء يسمى (بحيرة) عمارة لنفسه ولها وذهب هو بصحبتها مستصحبا الزمارين والمغنين ومن إليهم إلى تلك العمارة، وبسبب الرأي العام الذي أوجده شاعر ضده هدم العمارة، ورجع إلى البلد، فقد انشأ الشاعر بيتين فانتشر في الأفواه انتشار النار في الهشيم، وخاف الخليفة الفضيحة، والبيتان هما:

ترك الناس بحيرة وبنى عند البحيرة

قاعد يضرب بالطبل على حر دريرة

ثم أن الفقهاء المراجع إذا اجتمعت كلمتهم تمكنوا من

تغيير ما فسد من المسلمين كما رأينا ذلك حين اجتمعوا في قصة إيقاف الروس عند حدود إيران الحالية، و إخراج الإنكليز عن إيران حين غزوها تحت شعار امتياز التنباك، وتبديل الملكية المطلقة إلى المشروطة في قصة الآخوند الخراساني (قده)، و إخراج الإنكليز عن العراق بعد احتلالها لها في ثورة العشرين (١٩٢٠ م) و إخراج الإنكليز مرة ثانية عن العراق أبان الحرب العالمية الثانية، بل ان المراجع هم الذين هيئوا الأرضية الصالحة لإسقاط البهلوي الأول والعائلة الفيصلية، في كل من إيران والعراق

٢١

لوضوح إن المسلمين يتعلقون بعلمائهم، فإذا اتجهو

لهدم أو بناء تبعهم المسلمون، ولذا يهتم المستعمرون والحكام في أن لا يتحد المراجع، مهما وجدوا إلى ذلك سبيلاً

وإذا اجتمعت كلمة المراجع أمكن إصلاح حال المسلمين، لا في البعد السياسي فحسب بل في كل الأبعاد وحتى قبل وصولهم إلى الحكم، فتستقيم قصة المال للحوزات العلمية، وتنتظم شؤون الحوزات ويقوى التبليغ الإسلامي في كل أقطار العالم، ويكون سدا إمام التبشير،وسائر المذاهب الباطلة، والأديان المخترعة كالبهائية، والقاديانية ، والوهابية، وما إليها، ويمكن عمارة البلاد، وإنعاش العباد إلى غيرها مما لا يخفى

وإذا اجتمعت كلمة المراجع، كان الدارسون والناهضون للاجتهاد، والخطباء، والمؤلفون والمؤسسون ومن إليهم من فصائل الدينيين والعلميين كلهم من حفدة الشورى بما يعطي أفضل الثمار، فإنه بعد غياب الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) إلى حين ظهوره فوض الأمر إلى المراجع الذين هم حملة علوم المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين

ثم أنه يأتي في المقام سؤال أنه إذا اختلف شورى

الفقهاء بأكثرية الآراء أو جميعا- فرضا- مع مجلس الامة الذين انتخبوا لادارة الأمور، حيث تكون النسبة بين المجلسين، هما النسبة بين (حاكم أعلى في الديمقراطية،وبين مجلس الامة) إذ يلزم انتخاب مجلس الامة من جهة كونهم الخبراء في إدارة البلاد، فقهيا ودنيويا، فأيهما السلطة الأعلى في نفوذ رأيه في مورد الاختلاف

والجواب. إن في المقام، احتمالات

الأول. تقدم شورى الفقهاء لأنهم منصوبون من قبل

الإمام ،عليه السلام

الثاني: تقدم مجلس الامة لأنهم مورد رضى الله سبحانه لعلمهم وعدالتهم وخبر ويتهم، ورضى الأمة الذين أعطى الشارع بيدهم حق الاختيار، فمجلس الإمة في ذاته مورد تأييد الفقهاء، كما سيأتي، ومورد تأييد الأمة

الثالث: مراجعة الامة في تقديم أي المجلسين في المسألة المتنازع فيها باستفتاء عام، فأيهما قدمت الامة كان المقدم، وذلك لأن الله سبحانه حيث أعطى الصلاحية للأمة بقول علي (ع): (يختاروا) فملاكه آت في المقام، فكما في الحاكم الواحد للامة الحق في اختياره زمانا دون زمان لهم الحق في اختياره في مسألة دون مسألة، فهو كما إذا رجع

المتنازعان في قضية الى هذا القاضي وفي قضية أخرى الى قاض آخر- مع فرض كون كليهما جامعآ للشرائط-. والاحتمال الثالث مع كونه أقرب الى العقل والى روح القانون أقرب الى ما ورد من جحل على() حق ا أمة على نفسه باعطاء المشورة، بل استشارة الرسو ()Jالمسلمين، بالاضافة الى أنه بملاك تقديم الموكل أي وكيليه فيما اذا تنازع الوكيلان في أمر، إذ المفروض أن مجلس الشورى وا أمة كليهما وكيلان من قبل الامة، حيث لها حق الاختيارب " أن يقفدوه " و" يختاروا " من جانب، وان الامة وكلت مجلس الشورى في ادارة شؤونه الدنيوية من جانب آخر.

فهو كما اذا راجع الفرد مرجعآ في دينياته، وطبيبآ ومهندسآ وخبيرآ تجاريآ في دنيوياته- فان الموضوعات كما قرر في الفقه، لا ترتبط بالفقيه، وانما بالانسان، فاذا قال الفقيه: ان الخمر حرام، أخذ منه، ولكن اذا قال: هذه خمر، وتحقق لدى المقلد علمآ أو بطريق آخر أنها ليست بخمر لم يكن قول الفقيه حجة عليه حتى ينرم عليه اتباع رأي الفقيه في هذا الموضوع.

Tt

اقسام الاحزاب

الحريات التي منحها الإسلام للناس تعطي الحق لهم

في تكوين الأحزاب لا بالمعنى الغربي، وحيث يلزم أن تكون البلاد الإسلامية في إطار الإسلام والأحزاب الممنوح لهم في التكوين على ثلاثة أقسام

الأول: الأحزاب الإسلامية التي تنتهي إلى المراجع حيث إن الذي يتصرف في شؤون المسلمين إنما هم المراجع المنصوبون من قبل الرسول (ص) وا لائمة ،ع

فالمراجع يكونون الأحزاب الإسلامية التي يكونون

عونا لهم في تطبيق الإسلام وتقديم الامة إلى الأمام وهذه الأحزاب بمعونة شورى المراجع ينتخبون القوى الثلاث. والفرق بين الأحزاب بالمفهوم الاسلامي والمفهوم الغربي- المرفوض إسلاميا- أن: الأول يعمل حسب التطبيق الاسلامي فقط فهم يعملون تأطيرآ لا تشريعا، بينما الثاني يعمل حسب الآراء سواء طابق الشرع أم لا

فالقوى التي تصل إلى الحكم سواء المجلس، أو القضاء، أو الوزارة كلها تعمل في الإطار الإسلامي، لا غير ذلك

وهنا سؤال يفرض نفسه، وهو لو كان الإطار خاصا بالإسلام فماذا يعمل في الاحتياجات المتزايدة حسب العصر، مثلا الشوارع والمؤسسات لو تعارضت مع الوقف أو الملك الذي يأبى صاحبه إعطائه للشارع فان قدم الأول لزم رفع اليد عن قانون، الوقوف على حسب ما وقفها أهلها لا يحل مال امرء إلا بطيب نفسه ، وان قدم الثاني لزم رفع اليد عن موازين بناء المدن والمؤسسات

وهكذا أن قدم قانون المرور لزم رفع اليد عن حرية الإنسان في سياقته ، وان قدم قانون الحرية لزم رفع اليد عن قانون المرور

وكذلك إن عمل بقانون (العملات الصعبة) في الدخول والخروج إلى البلاد لزم إسقاط حرية الإنسان في كل شأنه إلا المحرم وان عمل بالثاني، لزم إلغاء الأول والجواب ليس القانون الاسلامي خاصا بالأمور الحرفية و إنما للإسلام قوانين عامة تنطبق في كل زمان ومكان حسب مقتضيات الأمر ولذا سميناه (التأطير) فهناك قانون الأهم والمهم وقانون لا ضرر إلى غير ذلك .

ففي المثال الأول، إذا انطبق القانون على موازين الإعطاء للشارع أو للمؤسسة أو ما أيشبه كالحدائق العامة بان

كان ذلك أهم شرعا قدم على العناوين الأولية

وفي المثالين الآخرين إذا كان في تطبيق القانون الأولي ضرر وقف لا ضرر أمام القانون الأولى

وليس ذلك بمعنى الولاية الفضفاض، ولا بمعنى المصالح المرسلة، إذ ولاية الفقيه معناها العمل في الإطار الاسلامي، والمصالح المرسلة عبارة أخرى عن اختيار الحاكم أن يعمل ما يأتي بنظره ولو كان ذلك خلاف التشريع الاسلامي، فهي في عرض الكتاب والسنة، كما أن المعنى الفضفاض- الذي لم يقل به أحد لولاية الفقيه- عبارة أخرى عن المصالح المرسلة، ولا يقول بها علمائنا حيث لم يدل عليها دليل.وعلى هذا فإذا رأى شورى الفقهاء بأكثرية الآراء شيئا صوابا من باب تطبيق القانون الثانوي جعلوه منهاج البلاد ما دام الاحتياج، ولا يكون له حينئذ صبغة القانون، بل الاستثناء، ولذا يحق لهم تغييره إلى مشابه آخر،مثلا، جعلوا قانون المرور، في السير على اليمين،أو الوقوف عند الضوء الأحمر، أو دون مائة كيلومتر في الساعة، ثم أرادوا تغييره إلى السير على اليسار، أو الوقوف عند الضوء الأخضر، أو تطلق الحرية لدرجة السرعة، لأنه

فتح هناك طريق آخر، فلا حاجة إلى التحديد وهكذا نحو ذلك

مثلا جاء الوباء مما يخشى من موت الناس إذا شربوا الحليب فان الدولة تتلفه مع تعويض أصحابه جمعا بين الدليلين، كما قالوا في أكل المخمصة

ومنه يعلم اشتراط الأمر في القوانين المجعولة، بنظر شورى الفقهاء، لا فقيه واحد، وكون ذلك المجعول حسب قانون ثانوي شرعي، وانه لا يتصف بالدوام بل بحالة الاستثناء فقط، وكل هذه الثلاثة تأباها المصالح المرسلة، أو ولاية الفقيه الفضفاض، إذ معنى ولايته المشروعة العمل في الإطار الإسلامي قانونا أوليا أو ثانويا

الثاني: الأحزاب الوطنية التي تتكون من اجل بناء

البلاد على شرط أن لا يخالف قانون الإسلام لا في برنامج عمله ولا في هدفه، بل يعمل في إطار شورى المرجعية (التي هي السلطة العليا في الدولة)(والمجلس المنتخب من الأمة)

الثالث: الأحزاب للاقليات كالمسيحية واليهودية ونحوهما، فانهم لهم الحق في أن يعيشوا تحت ظل الإسلام في كمال الحرية والرفاه بشرط أن لا يخرجوا عن قوانين

البلاد، كما أن كل فئة في الحكومات الديمقراطية كذلك فان الديمقراطية تعطي لهم الحق في أن يعيشوا بسلام بشرط أن لا يخرقوا قوانين البلاد

قلنا إن المراجع يكوّنون الأحزاب الإسلامية، وانما

يكون لهم ذلك من جهة حق الإنسان في الاستفادة من الحريات (غير المحرمة) كما قال سبحانه: (يضع عنهم اصرهم) فكل شيء حلال ما عدا المحرمات التي هي معدودة مذكورة في كتب الفقه والحديث

ووجه الاحتياج إلى تكوين الأحزاب الإسلامية، هو إن الحزب مدرسة تهيئة الإفراد الصالحين لإدارة البلاد سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وبدون التهيئة الطويلة لا يصلح إنسان إلا إذا كان معصوما- أن يأخذ بالزمام، مهما كان موثقا رأى مختلف العلوم، وحصل على مختلف الشهادات العليا. ومن الواضح أن من أسباب تحطم العالم الثالث عامة والإسلامي منه خاصة، عدم الخبروية للقائمين بأزمّة البلاد، فالانقلابيون مهما كانوا عسكريين أو شعبيين يؤخذون من الشارع ويوضعون في الدوائر، وحيث ليست لهم الخبروية يفسدون ويفسدون، وان فرض حسن نيتهم، وكانوا في أرقى درجات العلم والثقافة

ثم انو ثلث المجتمع في الغالب شباب من بنين وبنات وحيث أن الشاب له طاقة يريد إبدائها، كما له حاجات يريد سدها، وعليه واجبات يلزم أن يقوم بها فبدون تجميعهم في وحدات تصرف طاقاتهم في الصالح، وتعطي حاجاتهم وتوجههم نحو واجباتهم يتجهون إلى الأحزاب الشرقية و

ا لغربية

وهم قد نشروا شباكهم لاصطياد الشباب، لجعلهم أدوات هدم لبلادهم من اجل توفير حاجات الغرب والشرق وتكريس التأخير لبلاد الإسلام، بل العالم الثالث كله، كما رأينا ذلك في كل بلدان العالم الثالث، في ما يسمى بالأحزاب الوطنية، والشيوعية، والقومية، والوجودية. فإذا لم نجمعهم نحن، كان معنى ذلك فسادهم افسادهم

ثم لما كانت الأحزاب الثورية في بلاد الإسلام، بل

في كل العالم الثالث، سواء من وصل منهم إلى الحكم أولم يصل أساءوا اكبر الإساءة إلى الناس، تخوف الناس من اسم الحزب، ورأوا أن معنى الحزبي فرد هدام، وان الحزب الواصل إلى الحكم معناه الهدم والدمار، كما رأوا في مصر ناصر، وعراق قاسم

وانه لا بد من الحزب- بالمعنى الذي ذكرناه- إذ بدون التجمع والانضمام لا يمكن للبلد أن يقف أمام التجمع الغربي الرأسمالي، والشرقي الشيوعي، حيث أن في الغرب ألف مليون منظم وان كانوا تحت حكومات، وتعدد أحزاب، وفي الشرق ألف وخمسمائة مليون منظم من الروس والصين كان اللازم على الأحزاب الإسلامية أبلغ الاهتمام لإزالة هذا الدرن من سمعتهم، وإلا لم يحظوا بالتفاف الناس حولهم ولا يأتي منهم الهدف المنشود، بل يسببوا كثرة المشكلة بتربية أفراد يكونون إلى الهدم اقرب منهم إلى ا لبناء

إن الإنسان إذا رأى فردا من أهل بلد فلاني سرق، ثم

رأى فردا ثانيا وثالثا ورابعا كلهم يسرقون، يبادر إلى ذهنه أن أهل البلد الفلاني كلهم سراق، إن هذه الكلية وان كانت غير صحيحة فان الجزئي لا يكون كاسبا ولا مكتسبا، إلا أن طبيعة البشر- غير العلمية- ذلك، وما هو العلاج والحال هذا؟ ولذا ليس أمام الفرد الخامس إلا أن يهتم غاية الاهتمام لإزالة هذه السمعة السيئة، و إلا طارده الناس

فعلى الذين يريدون الانخراط في الحزب الإسلامي المرجعي أن يهتموا اكبر الاهتمام لان يتصفوا بالفضيلة خلقا وعملا، لا بمعنى أن يأخذوا بقدر الحق، بل بمعنى أن

يتركوا حقهم لاجل سمعتهم، قال سبحانه: (ادفع بالتي هي احسن) وقال سبحانه: (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) وإلا فالوصول إلى الهدف سراب ليس إلا ثم إن رجال الدين إذا أرادوا أن يأخذوا بالزمام احتاج الأمر إلى الرأي العام الضاغط، حتى يتهيأ الجو، والرأي العام بحاجة إلى أربعة أمور

الأول: سلسلة كبيرة من الكتب بمئات الملايين، فان الأمور تبدأ بالوعي، وبدونه لا يتقدم شيء، صحيح إن أل إذاعة والتلفزيون والصحف لها دور اكبر من الكتب لكنها ليست تحت إمكان رجال الدين، فلا بد وان يقتنع بالممكن من الكتب التوعوية المبنية لشورى المراجع، والأحزاب الحرة، والحريات الإسلامية، والاخوة الإسلامية، والاكتفاء الذاتي، والامة الواحدة بدون حدود جغرافية بين بلاد الإسلام وغيرها من الأمور المعنية بهذا الشأن

ثم إن الوعي يحتاج إلى الحملة، والحملة هم المنظمون من أفراد الأمة، ولذا يلزم السعي إلى إشاعة روح التنظيم، وربط المنظمات بعضها ببعض في مؤتمرات، كماء السماء ينزل قطرات فتتجمع في عيون صغار ثم تتجمع تلك العيون في أنهر صغار وتتجمع تلك الأنهر في انهر كبار حتى تكون بحرا، والمؤتمرون يقومون بالإضرابات والمظاهرات

السلمية حتى يحصل الانهيار في شكل الحكومات الحاضرة ومع زوالها تبنى على أنقاضها الحكومة الإسلامية الواحدة الثاني: أخلاقيات رجال الدين حيث أن الإخلاف من اجلب الأشياء للناس فان الأخلاقيات الرفيعة لها الحكومة على القلوب بينما الماديات لها الحكومة على الأبدان، والحكومة الروحية أقوى من الحكومة الجسدية، ولذا بقيت الأنبياء و الأئمة وذهبت الفراعنة والطغاة

الثالث: إعطاء رجال الدين للناس حوائجهم المعنوية والمادية، وعليه فاللازم عليهم تأسيس المؤسسات ا لا اقتصاد يه ، والاجتماعية، والفكرية، وا لثقافية، وا لتر بوية، وغيرها، كالمدارس، وا لمعا هد، وا لبنوك، و

ا لمستشفيات، والمطابع، والمعامل، وغيرها حتى تثق بهم ا لأمة وتراهم المنقذين فتلتف حولهم وتطيع أوامرهم،وتأسيس المؤسسات جزء من إعطاء الحوائج- كما هو واضح

الرابع: أن يدخل رجال الدين في كل جوانب الحياة

كما كان كذلك أبان الحكم الإسلامي- فيكون هناك مهندس رجل دين وطبيب رجل دين وفيزيائي رجل دين ومخترع رجل دين، وهكذا، حتى تمتزج بعض الأمة ببعض فينظر الناس إلى رجال الدين بنظر الاحترام والإجلال وإذا كان كذلك

اتبعهم الناس تلقائيا وينفذ فيهم كلمة الإسلام التي يحملها رجال الدين

أما الاقتناع بجهة التقليد، والخطابة، والتأليف، فهو اقتناع ببعض المهمة، والنتيجة لا تأتي، إلا بكل المهمة. ثم ان من أهم ما يجب أن يعمل به العاملون لاعادة الدولة الإسلامية، والحكم الإسلامي، إعادة أخلاقيات الرسول (ص)- بالمعنى الأعم للأخلاق- حيث أن ذلك هو الطريق الوحيد لاعادة حكم الإسلام، وإلا سار العاملون سيرا طويلا، وأخيرا لا يصلون إلى شيء، إن لم يصلوا إلى الأسوأ من الحالة السابقة

إن اللازم على العاملين لاعادة حكم الإسلام إعطاء الاطمئنان الكامل للعلماء، والحكام، والأثرياء، وأعوان السلطات، انهم لو وصلوا إلى الحكم يكون شعارهم: خذ العفو واذهبوا أنتم الطلقاء فلا تؤخذ أموالهم ولا يحاكمون بما عملوا سابقا، ولا تحرمون من أي حق، بل إن شاء الناس انتخبوهم حسب الشروط الشرعية، وانما الدولة الإسلامية تريد تطبيق نظام الإسلام عبر الأنظمة السليمة ليس إلا، كما كان يفعله الرسول، فإنه لم يصادر مال ثري، ولا قتل عالما واحدا، ونصب جملة من الرؤساء كما كانوا وبهذه الأخلاق النبوية تكون الحركة الإسلامية

قد وفرت لنفسها الحب العميق حتى من أعدائها، وقلة المقاومة، واطمئنان الناس بالعدالة الإسلامية و إحسانها قال سبحانه: (إن الله يأمر بالعدل و الإحسان) وذلك يسهل الأمر للعاملين اكثر فأكثر

أما إن كان الشعار، القتل، ونهب الأموال، والمحاكمة للحكام، وفقهاء السلطة، وتجريد الأثرياء من الأموال، و إنزال الكبار عن مناصبهم، وإدخالهم السجون والمعتقلات، فاللازم أن يطمئن الإنسان المريد للعمل أنه يسير إلى طريق مسدود، والزمان كفيل بأن يظهر سرابية أحلامه

إن الناس يلتفون حول، أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف ، و، خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين و، فبما رحمة من الله لنت لهم ، و، اليوم يوم المرحمة، اليوم تحفظ الحرمة ، و،اذهبوا أنتم الطلقاء ، و، إنك لعلى خلق عظيم

٣٥

الحرية المسؤولة

ليس معنى الحرية الفوضى في النظام أو في القائمين بالنظام، كما وجدناها في أول الانقلابات التي حدثت في مصر والعراق وباقي البلدان، فان الناس اخذوا يعملون ما يشاءون صت الأمور الفوضوية، كما أن الحكومات الانقلابية جاءت بأناس لا خبرة لهم إطلاق ، بل ولا علم لهم أحيانا إلى المراكز الحساسة في الدولة، مما سبب تبعثر الأمور والخبال والفساد غير المتصور

بل الحرية معناها إطلاق تصرف الناس في إطار المعقول فاللازم جعل إطار للحريات، وليس ذلك بمعنى الكبت بل بمعنى أن لا يضر الإنسان نفسه ولا غيره، فمثلا الزراعة والتجارة والحيازة والصناعة حرة، لكن اللازم أن لا يزرع الزارع الحشيش الضار، ولا يتاجر التاجر بما يوجب الغش والاحتكار والربا،الأمور الضارة، ولا يحوز الحائز حق الآخرين، مثلا هناك مائة صياد كل صياد يصيد من البحر

عشر كيلوات من السمك لقوته وقوت عائلته عينا أو ثمنا فلا يحق لاحدهم أن يصيد حصة الآخرين، حتى يبقى أولئك بلا طعام ،الاستيراد حر والتصدير حر بما لا يوجب البطالة في الأول، حيث لا يجد عمال البلد عمل بعد توفر البضاعة الأجنبية في الأسواق مما تغني عن البضاعة الوطنية، ولا العوز في الثاني حتى لا يجد أهل البلد قوتهم لان المصدر أخرجه إلى الأجانب رجاء مزيد الربح، وهكذا حال الصناعة وغيرها

والخط الفاصل بين الكبت والمسؤولية دقيق يجب أن تتظافر جهود المخلصين من علماء الإسلام الوعاة أهل الاختصاص من الدكاترة والمهندسين ونحوهم في صب الصيغة الملائمة المحددة بين (يضع عنهم اصرهم) وبين لا ضرر ولا ضرار

أما الدوائر فاللازم أن تكون وسطا بين التفريط والإفراط

فلا تضخم في الموظفين مما يفوق ضروري الاحتياج- كما هو الحال في كل بلادنا، حيث مشوا وراء الغرب والشرق من غير هدى- ولا تقصير في القدر المحتاج إليه

وحيث أن الحريات في الإسلام كثيرة جدا فالقدر

المحتاج إليه من الموظفين اقل من عشر الموظفين في الحال الحاضر، إن كثرة الموظفين أملتها على حكام بلاد الإسلام الجهل والغرور والأنانية والتقليد، فإذا أخذ الإسلام بالزمام، وشكلت لجان من كلتا الطائفتين من المثقفين الزمنيّين والإسلاميين لا بد وان توضع الأمور في نصابها

فالأعمال تكون بيد الناس إطلاقا إلا ما خرج

فالمطارات، وا لقطارات، وا لسيارات، وا لمستشفيات والمصارف، ومعاهد العلم، وغيرها تكون بيد الناس والدولة مشرفة فقط في عدم الإجحاف إلى غير ذلك من أسباب قلة الموظفين.هذا من ناحية الكم

أما الكيف، فلا بد للموظف من العلم و الخبروية الحاصلة بالممارسة والتدرج في الرقي، مثلا من مدير الناحية الصغيرة، إلى الناحية الكبيرة إلى ما دون المحافظة إلى المحافظة الصغيرة ثم الكبيرة، إلى الوزارة وهكذا

يضاف إليهما الأخلاق والإيمان والرقابة، بدون تدخل المحسوبية والمنسوبية،لا يقال: كيف بالخبروية والرقابة مع العلم أن

الحكومة الإسلامية التي تأتي جديدة لا تدرج فيها بعد والرقابة غير ممكنة من الأكبر من الموظف لأنه نصبه ولا ممن دونه لانه منصوب منه فلا يجرؤ على محاسبة رئيسه!. لانه يقال: الخبروية حصلت من طول استمرار خدمة الموظف في الحركة، مما يعادل طول خدمته في التدرج، بالإضافة إلى إمكان استخدام الموظفين السابقين ذوي الماضي ا لحسن،أما الرقابة فإنها تحصل من القوى المقابلة للقوى الحاكمة، حيث فرضنا في فصل سابق لزوم الأحزاب الحرة الإسلامية، فحكومة الظل تراقب حكومة النور، وبذلك أما تتم الأمور الثلاثة: المؤهلات الذاتية، الخبروية الزمنية، والرقابة الاجتماعية

٣٩

ا لحرية في ظل الكفاءة

منذ أن دخل المستعمرون بلادنا، وتبعهم حكامنا،

أفلس الدين وحملته، فكل المال يصرف لاجل خط المستعمر فلا مال للدين- وشعائره، ولا لحملة العلوم الدينية، بل اوقافهم تصادر، و أموالهم تسلب ويقصون عن الاقتصاد، كما يقصى الاقتصاد عنهم، وصور الأوقاف الباهتة التي تمارسها الدولة إنما هي لاجل الإغفال وكّم الأفواه

أني منذ دخلت كر بلاء وأنا صغير السن لم أر صحن الإمام الحسين (. ع) مبنيا غير محتاج إلى الترميم والتعمير، فهو دائما خراب يشتغل فيه البناءون شغلا صوريا ، فإذا كان هذا حال الصحن الشريف بكثرة اوقافه في العراق وإيران وغيرهما فما حال بقية المؤسسات الدينية

وقد نقل الوالد بعد رجوعه من سفرة إيران مع السيد حسين ألقمي ،لاجل إصلاح ما أفسده البهلوي الأول،

والذي منه مصادرة الأوقاف كما نقل غيره أيضا، انهم لاحظوا أوراق أوقاف المشهد المقدس للامام الرضا (ع) فرأوا أن اوقافه تنتهي إلي أفغان من جانب، والى طهران من جانب ثان، والى أقاصي الشمال من جانب ثالث، كما أن الأوقاف كانت حتى لاجل الكلاب والقطط، وحتى لاجل إعطاء من سلب القط لحمه، بدل لحمه، وحتى لاجل خفاف الزائرين، وعلوفة دوابهم إلى غير ذلك، لكن مع ذلك فالعتبة المقدسة، بل زائريه بحاجة إلى المسعف. كما إن حكومتي إيران والعراق صادرتا أوقاف المدارس العلمية الكثيرة

واو قاف المساجد، تحت ألف اسم واسم وبنوا بذلك المخامر والمقامر والملاهي والمباغي ، لأن ذلك خط المستعمر لا ما يريده المسلمون من الدين والعلم والفضيلة والتقوى والحرية

وعلى أي حال فرجال الدين في ظل هؤلاء الحكام لا يجدون حتى لقمة العيش النكدة إلا بصعوبة بالغة من أجرة قضاء الصلاة والصيام عن الأموات وصلاة الوحشة وختم القرآن ونيابة الزيارة، وهكذا حال كل من يريد العمل للإسلام و إعادة حكومته والانفلات من براثن الشرق والغرب واستعمارهم، وإنقاذ المسلمين

ولذا فاللازم أن يفكروا رجال الدين في الاقتصاد

البديل، حيث يمنعون حقهم من الخمس والزكاة- حتى بقدر قوت لا يموت- ولا نصيب لهم في الأوقاف، بل موارد الأمة من النفط وسائر المعادن، ومن الواضح ا

ن ما يجعل الأسد المزمجر ثعلبا

هو أن يكون لغيره محتاجا

والبديل الأولي أمور ثلاثة

الأول: الاهتمام لاجل مجانية الدور التي يسكنون

فيها فان أجرة الدار من اصعب ما يبتلي به رجل الدين، لأن معاشه لا يكفي حتى لنصف أكله، فهل يمكن أن يعطي منه إجارة داره

والمجانية تكون إما بدور موقوفة، كما توفر لهم مدارس موقوفة لا يحتاجون في سكناها إلى الأجرة ، وذلك بتحريض أهل الخير في وقف الدور لهم فماداموا أهلهم من بعدهم – المنقطعين- يسكنونها، فذا ذهبوا عن البلد أو ماتوا وأثرى أول ادهم، انتقلت الدار إلى رجل دين آخر، حالها حال ا لمد ارس

وإما بتهيئة زعماء رجال الدين، وأهالي الخير الدور المملوكة لهم، فإذا حصل ذلك انتهوا من نصف الهم وتفرغوا للعلم والجهاد الموجب لإرجاع الحرية إلى

المسلمين، والاستقلال إلى بلاد الإسلام

الثاني: امتهان مهنة الخطابة بقدر، فان الناس حيث يحتاجون إلى الخطيب يبذلون له شيئا من المال مما يساعده في بعض معاشه، فيتفرغ للعلم والعمل

الثالث: توفير الاوليات التي تذر له بعض المعاش وتكفيه بعض المؤونة، سواء من الأمور الصناعية كماكنة الخياطة حيث توفر للعائلة مؤونة الخياطة بالأجرة ، وما اشبه ذلك أو من غيرها كاقتناء بعض الدواجن والأسماك في الأحواض البيتية لمساعدتهم باللحم والصوف والجلد والبيض واللبن بمشتقاته، ولذا ورد في الأحاديث التأكيد على ذلك ، وكجعل حديقة في البيت- إن وسع البيت لها- لاجل بعض الفواكه والخضراوات، وكصنع بعض العائلة السجاد والأكسية ونحوها

وبذلك يتمكنون من امرار المعاش المتوسط حتى يشتغلوا بمهمة حفظ العلم والدين وتقديم الأمة إلى الأمام بإرجاع الحريات إليهم، وإلا ، فمن لا معاش له لا معاد له، ومن لا كسب له يسقط من عين الرسول (ص) و (الفقر سواد الوجه في الدارين)، و(عجيب أن لا يخرج الفقير إلى الغني

شاهرا سيفه) إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة عن لسان المعصومين (ع) والكلمات الحكمية التي فاه بها أصحابهم ،عليه السلام

هذا من ناحية الأفراد، أما من ناحية المراجع فالظاهر انه إذا تحقق بينهم شورى، وركزوا الأموال لاجل الاستثمار، تمكنوا من توفير اكبر قدر ممكن من المال لاجل رجال الدين وشؤونهم، حتى يكون نصيب كل طالب ما يكون كفافا وعفافا، كما فعلت المسيحية ذلك من ذي قبل

على شرط أن يكون بحيث لا تتمكن الحكومات من التدخل إطلاقا، فان حكومات بلاد الإسلام ما دام هم اتباع المستعمر ما تدخلت في شيء إلا أفسدته، وبحيث يبقى مستمرا بأن تكون كمؤسسة يشرف عليها الفقهاء جميعا بأكثرية الآراء فإذا مات فقيه قام مكانه فقيه آخر من الدرجة الثانية وهكذا، وإلا فالأموال تكون من نصيب أفراد عاديين، ولا يرجع إلى رجال الدين وخدمة الحرثة الإسلامية شيء نعم يسهل ذلك، إذا وصل الحكم إلى شورى المراجع على ما ألمعنا إليه في بحث سابق

ولا يتصور أن وصول شورى المراجع إلى الحكم

بعيد، بعد وضوح انهم هم المتنفذون في أعماق الأمة، وان

الحكام- وان فرض عدم كونهم عملاء الاستعمار- لا محبوبية قلبية لهم في وساط المسلمين، وانما يأخذون بالزمام لترك المراجع مكانهم الطبيعي- حسب بعض الاجتهادات

أن كلما قاله الفقهاء و الحوزات العلمية للناس أطاعوهم ، فلماذا لا يقولون لهم إن اللازم انتخاب الناس لشورى المرجعية حاكما على أنفسهم، فهل العلم الديني، أو التقوى، أو العدالة، أو ما أشبه ذلك يسبب عدم قبول الناس بهم حكاما؟ إن الأمر بالعكس فكل ذلك من أسباب قبول الناس

إن التاريخ حدّث بأن المراجع حيثما كانوا في الحلبة تمكنوا من إثبات أو إسقاط حكومات، وفي العهد القريب اسقط شورى المراجع حكومة القاجار، واثبتوا حكومة المشروطة، كما اسقطوا حكومة الإنكليز عن العراق واثبتوا حكومة وطنية، إلى غير ذلك

إن عدم إتيان الحكومة الجديدة في إيران والعراق بما

كان المترقب عنها، لم يكن إلا من جهة عدم التخطيط السليم لها، ولو فرض بقاء

القائدين الخراساني والشيرازي، لكان للحكومة الجديدة شأن غير شأنها الذي انتهت إليه

إن رجال العلم الديني قالوا للناس صلوا وصوموا وحجوا وحمّسوا، وابنوا المدارس والمساجد والحسينيات و... فأطاعهم الناس، آلا يطيعونهم إذا قالوا لهم احيوا الجذور لكل ذلك حتى تكون البلاد بأيديكم وتتقدموا إلى الأمام ، وقد رأيت أنا في الحرب العالمية الثانية، كيف كان مئات الألوف من الناس- من العشائر وغيرهم- يأتون إلى النجف وكر بلاء، لاجل أن يذهبوا إلى إخراج البريطانيين من العراق لما أفتى بذلك المراجع في ذلك اليوم وبالفعل قد أخرجوهم من (الحبانية) كما رأيت كيف أن السادة الوالد والقمي و الميلاني، ضغطوا على البهلوي الابن في إلغاء القوانين ضد الإسلام في إيران، من إرجاع الأوقاف، واختيارية الحجاب، وإلغاء بطاقات الأرزاق، و إخراج المدارس والمعاهد و المسابح وما أشبه من الاختلاط، إلى غير ذلك.لكن المهم تجمع كلمة العلماء والتخطيط لحكومة كافة المسلمين حسب الأسلوب الإسلامي

القانون الحر

لتعلم الحكومات الديكتاتورية، سواء كانت بشكل

حزب واحد، أو بشكل مجلس شورى انتصابية ، حكومة عسكرية، أو وراثية، أو انتخبها الشعب ثم قلب لهم ظهر المجن ، إن قوانينها لا تطاع إلا برأس الحراب، ومن الواضح أن رأس الحراب لا يتمكن من شيء، إلا شيئاً ضعيفا كماً وكيفاً، وفي المثل ، الإنسان يتمكن أن يصنع بالحراب بعض الشيء، لكنه لا يتمكن أن يصنع بها كل شيء، كما لا يتمكن أن يجلس عليها

إن القانون إذا لم يكن نابعا عن روح الناس واحترامهم العميق من جهة كونه نابعا عن دينهم ومعتقدهم، أو من جهة انهم وضعوه بملء إرادتهم واختيارهم الحر يهرب الناس منه ما وجدوا إلى ذلك سبيلا ، وسياسة التجهيل والخداع والتضليل والدعاية لا تتمكن إقناع الناس باحترام القانون المزيف

٤٧

ولذا نجد في بلاد الإسلام أن القانون أهون من النفايات، لا لان الناس لا يلتزمون بالقانون فحسب، بل نفس الموظفين يسحقون القانون لارتشاء أو واسطة، وبذلك لا تتمكن الحكومة من السير بالأمة إلى الأمام وليست لها محبوبية حتى بقدر أنملة، وها هي في هذه الأيام تملأ وسائل الإعلام باسم (الزعيم المحبوب) لكن لا قيمة له في النفوس حتى بمقدار شعرة، ويضطر أن يركب السيارة ضد الرصاص إذا أراد السير في الشوارع، مع حماية مسلحة.فاللازم أن يكون القانون في بلاد الإسلام طبق الإسلام، وفي القانون الإسلامي حريات كثيرة لم يحلم بها حتى الغرب في أوج عظمته، وان ادعى انه العالم الحر نعم انه حر في قبال الشرق الشيوعي، أما في قبال الإسلام فلا ثم أن ما تضعه السلطة التنفيذية من شعب القانون لا بد

وان يكون مراعيا للحرية- إلى أقصى حد ممكن- وإلا لم يحظ ذلك بالاحترام أيضا، وبسقوط احترام القانون يسقط احترام الحكومة، ولا بد لها أن تنتظر السقوط هي بنفسها أيضا

ا لوعي والتنظيم

أن من أهم ما يوجب رجوع الحريات إلى البلاد الإسلامية ، الوعي، والتنظيم، فالأول نور يسبب رؤية المسلمين دائهم ودوائهم، والثاني يوجب أن يكون لهذا النور حملة يحملونها إلى أقاصي بلاد الإسلام، وقد أكد الإسلام على كليهما، وبدون أن تنظم الحوزة تحت إشراف مراجع التقليد، لا يمكن تنظيم الحوزة، وان عمل لاجل تنظيمها مرجع واحد، كما يلزم أن يكون التنظيم بالاختيار لا بالإجبار، فمن شاء مميزات التنظيم المادية والمعنوية دخل فيه ومن لم يشأ لم يدخل، أما القسر فأنه لا يدوم، وليس معنى التنظيم مجرد شيء، لا أول له ولا آخر، بل معناه الاستيعاب، من الأول إلى الأخير: كمية الدرس و كيفيته المكان، الزمان، المدرسة، المعاش، العمر، بعد التخرج ماذا يكون؟ ومن أين معاشه؟ الاختصاصات، والى غير ذلك، مما يقرره شورى المرجعية بأكثرية الآراء

وما دام لم تنظم الحوزة العلمية لا يمكن التنظيم الصحيح الدقيق في الشباب الذين إذا لم ينظمهم المراجع انخرطوا في شباك الغرب والشرق، من الأحزاب الشيوعية، والقومية، والوجودية، والوطنية المرتبطة وفي أحابيل الفساد التي نشرها الكفار في كل بلاد الإسلام بواسطة عملائهم

هذا من جهة التنظيم، أما من جهة الوعي، فهل يمكن

بدون ملايين الكتب وعشرات الألوف من المكتبات للمطالعة ودور النشر، والجرائد والمجلات والندوات، و

المد ارس، والمعاهد، و الراد يوات والتلفزيونات، في عا لم يعج بالثقافة المنحرفة بما لو قيس الوعي الإسلامي بين الشباب بالوعي الشرقي والغربي بالنسبة إليهم، كان شيئا ضئيلا جدا. ولذا نشاهد أن الإسلام اهتم أول ما اهتم بالوعي، وقد تخرج عن مدرسة الرسول (ص) الشيء المدهش من حملة الوعي من الرجال والنساء، وأول مؤلف في الإسلام هو الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام في ما يسمى ب (كتاب علي (ع)) وأول مؤلفة في الإسلام- بمعنى التسبيب- هي فاطمة الزهراء (ع)، في ما يسمى ب(مصحف فاطمة سلام الله عليها)- والمصحف في اللغة بمعنى (الكتاب)- وتلاميذ الرسول (ص) يصلون إلى ربع

مليون على ما ذكره بعض، ولا إحصاء لتلاميذ الإمام علي ع، والظاهر انهم يصلون إلى الملايين، ولا نعلم عدد تلاميذ الزهراء سلام الله عليها، حيث لم يحفظهم التاريخ الذي بأيدينا، نعم نعلم أن دارها كانت مدرسة لتعليم النساء بمعنى المدرسة في ذلك اليوم، لا المدرسة المصطلحة حالا- وقد تعلم منها سلام الله عليها الرجال أيضا.وروى الكثيرون عن الإمامين الحسن والحسين (ع) وكلماتهما المنتشرة في كتب الفقه والحديث والتفسير والتاريخ شاهدة على ذلك

أما نشر الإمام السجاد (ع) للعلم وتربيته للعلماء

فيظهر من صحفه السجادية المتعددة ورسالته في الحقوق ورواياته الكثيرة وكلماته القصار وخطبه ومناظراته، أما الصحيفة المعروفة بالسجادية فقد أودع فيها لباب العلم والحكمة، وفي البحار عن والد محمد تقي المجلسي قدس سره إن الأسانيد المرتبطة بها تزيد على ألف ألف سند، كما إن الإمام (ع) كان يربي العبيد ويجعلهم علماء أتقياء وينشر هم في البلاد لاعطاء الأمة الوعي، وقد جمع بعضهم الأصحاب والرواة عنه (ع) فأوصلهم إلى ثلاثمائة راو ومحدث، كما أنه نقل عن (سيد الأهل) إن عدد العبيد الذين اشتراهم السيد السجاد (ع) ورباهم ثم حررهم

لينشروا العلم والأخلاق بين الناس وصل إلى خمسين ألف والإمامان الباقر والصادق (ع) ملأوا الدنيا علما مع انهما كانا يعيشان في فترة من حياتهما في اظلم تاريخ من بني أمية وبني العباس، وإذا علمنا أن عمر بن عبد العزيز كان أوسط بني أمية بالوعي السياسي، وعلمنا انه لم يعين الإمام الباقر لأخذ الحديث منه مع انه عين عروة ابن الزبير وأبا بكر بن سليمان وعبد الله بن عبد الله وغيرهم لأخذ الحديث منهم، ظهر ما كان فيه الإمام من الضغط والإعراض من طرف الدولة الأموية ومع ذلك فالأصحاب والرواة عنه ،ع على ما أحصاه بعضهم زهاء ألف إنسان، أما الإمام الصادق (ع) فالرواة عنه أربعة آلاف على المشهور، لكن في بعض الكتب انهم عشرون ألف إنسان

أما الإمام الكاظم (ع) فقد عاش في احلك الايام

العصر الهاروني الأسود الذي كان شهوته في السجن والتعذيب والقتل وخصوصا لابناء رسول الله (ص) ولذا سجن الإمام الكاظم (ع) مدة طويلة- كما هو مشهور- ومع ذلك فقد أنهى بعضهم تلاميذه إلى ألف تلميذ

والإمام الرضا (ع) مع الضيق الذي أورده عليه المأمون وقتله أخيرا بالسم تمكن أن ينشر العلم والحديث وقد أنهى بعضهم أصحابه وتلاميذه فكانوا زهاء تسعمائة

والإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري ،ع

ملأوا الدنيا بالعلم والحكمة، وقد روى عن الإمام الجواد (ع) وحده في مجلس واحد (طويل طبعا) ثلاثون ألف مسألة وقد عد بعضهم الأصحاب والرواة عن هؤلاء المعصومين الثلاثة فكانوا زهاء تسعمائة

والإمام المهدي عليه الصلاة والسلام مع انه عاش ظاهرا أو في غيبته الصغرى، في فترة مظلمة، فقد نشر العلم والفضيلة بواسطة نوابه الأربعة المشهورين، كما قد روى عنه مباشرة أحاديث مذكورة في كتب الحديث والفقه وغيرها، وبذلك يظهر ما للوعي من أهمية كبرى في إنهاض الأمة و أعادة الدولة الإسلامية الواحدة

التحلي بصفةالثبات

إن الجماعة التي تريد إرجاع الحرية إلى بلاد الإسلام

– بما يرجع إليها من قوانين الإسلام– هم سبب فشل أنفسهم، قبل أن يكون السبب غيرهم من المستعمرين والحكام المرتبطين بهم، انهم يأخذون في التنظيم، والتأسيس، وجمع الناس حول أنفسهم، وإيجاد الحماس في الناس للعمل حتى يصلوا إلى شاطئ الإسلام بإقامة الدولة الإسلامية. ثم يأخذون في نقض كل ذلك (كالتي نقضت غزلها بعد قوة انكاثآ) و فتراهم يبدلون النشاط بالكسل، وجمع الكلمة بالتفريق، والشورى بالفردية، وضرب الناس حتى يتحول حماس الناس إلى فتور، ثم الحماس المضاد ضدهم. وبذلك يصبحون جماعة من المغرورين الطعانين على الناس المهاجمين لغيرهم، ويرون أنفسهم فوق الآخرين علما وعملا وخدمة وفهما

ومن طبيعة الناس الفرار من المثال هؤلاء، فبينما كانوا

في أول الأمر شجعانا يصبحون جبناء لأنهم يخافون على مكتسبا تهم التي حصلوها، وبينما كانوا في أول الأمر يخدمون يصبحون يستخدمون وبينما كانوا في أول الأمر متواضعين، يصبحون متكبرين مغرورين. وبينما كانوا في أول الأمر اجتماعيين يصبحون انعزاليين إلى آخر القائمة وهذا هو سر تأخر بلاد الإسلام يوما بعد يوم بينما تتقدم

بلاد الغرب يوما بعد يوم، إن الجمود والكبر والتفرقة والاستبداد تجد سبيلها إلى العاملين منا، بينما نجد العكس في البلاد الغربية، لأنهم دائما في تنافس واستباق، ونحن – حيث الديكتاتورية والاستبداد– دائما في الفردية والتأخر والأمثلة على ذلك كثيرة، لا أقصد ذكرها، بل كل يجد في حافظته أمثلة لذلك.قال أحد المسيحيين إن من أسرار نجاح محمد (ص) أنه من أول دعوته إلى يوم وفاته لم يتغير إطلاقا

ا– فكان ا أصدقائه في أول الدعوة هم أصدقائه في حجرة موته

ب– وكانت شعبيته واجتماعه بالناس في آخر أيام حياته كشعبيته في أول يوم اظهر الدعوة إلى الإسلام

د– وكان بيته المتواضع وأثاثه القليل وبساطته في كافة شؤون الحياة، وابتسامته التي لم تفارق شفته، شعاره ودثاره في الفترة الزمنية الممتدة ثلاثا وعشرين سنة

٥٥

خرق القوا نين المخالفة

الواجب على المسلمين خرق كافة القوانين الكابتة

التي وضعها المربوطون بالمستعمرين من الحكام لاجل تقييد المسلمين، فيلزم مراعاتهم للحريات الإسلامية في كافة شؤونهم غير آبهين بالقوانين، فان العمل بالقوانين الكابتة مساعدة للظالم و إبقاء للمستعمر في بلاد الإسلام، إن الحرام فقط هو محرم في الشريعة الإسلامية ، أما غير المحرم فهو محلل، وحلال محمد (ص) حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد (ص) حرام إلى يوم القيامة

وإذا تمكن المسلم من خرق القانون الكابت ولم يفعل ارتكب ابشع الآثام، فان الشخص لو شرب الخمر أو زنى أو ترك الصلاة كانت المعصية فردية، سواء في فرد واحد أو بين اثنين أو ما أشبه، أما إذا تقيد بالقانون الكابت مع تمكنه من خرقه كاملا أو خرقا في الجملة فقد ساعد في هدم الإسلام وإذلال المسلمين، وتسليم بلادهم إلى الأجانب وعملائه

القانون يقول لا تسافر إلا بوثيقة سفر، ويقول لا تفتح

دكانا إلا برخصة، ولا تتزوج إلا بإجازة، ولا تستورد إلا بمكوس و عشور ، ولا تصدر إلا برسوم، ولا تستولي على الأرض إلا بالشراء من الدولة، ولا تحز المباحات إلا بموافقته، ولا تحج إلا حسب المقرر، وهكذا، ولا، ولا، ولا

فاللازم خلاف كل ذلك، فالإنسان حر في سفره وفي أقامته، وفي فتح محله ودكانه، وتزويجه وتزوجه، واستيراده وتصديره، واستيلائه على الأرض وحيازته المباحات، وسفره إلى الحج أو إلى أي بلد شاء، كما هو حر في إقامته ودرسه وطبعه كتبه وإبدائه رأيه إلى غيرها وغيرها

فلو تمكن من ضرب القانون عرض الحائط، ثم لم يفعل، أو تمكن من تنقيص القانون- مثلا أرادوا منه مائة دينار وتمكن من إعطائهم عشرة فقط- فلم يفعل فعل حراما، وهو معاقب يوم القيامة اشد من عقاب مرتكب الحرام الفردي – كما ذكرناه

أبان تسلط البهلوي على إيران طلب من الناس أن يأخذوا الجنسية فأخذ بعضهم ولم يأخذ بعضهم، وذات مرة قام العالم الجليل الشيخ ميرزا صادق آقا التبريزي ، في

مسجده على المنبر، وقال من لم يأخذ الجنسية فليقم، فقام عدة وقعد عدة، فقال الآن سيطر الكفار علينا ولا ترى بعد ذلك عزا ، وجزاه البهلوي عن ذلك وعن غيره من نواهيه عن المنكر بنفيه ولم يرجع إلى بلده إلى آخر أيام حياته حيث توفي في مدينة قم المقدسة وأقبر هناك

ألم يصدق ذاك العالم الكبير؟ إن إيران تحطمت والى اليوم وصارت مسرحا للكفار وعملائهم ،وهناك سؤال أنه أليس مثل ذلك فوضى؟ والجواب ، فهل كانت بلاد الإسلام منذ أكثر من عشرة قرون فوضى؟ وإذا لم تكن فوضى، فهل كانت لاجل هذه القوانين؟ نعم العمل بالقانون يجوز في أشد حالات الضرورة كالضرورة إلى أكل لحم الخنزير أو اشد

ولعل الإمام الحسين (ع) لو كان في هذا الزمان لحارب الحكام الذين اخذوا بزمام بلاد الإسلام اليوم، أشد من محاربته ليزيد، إذ في أي تاريخ إن يزيد عمم الخمر والقمار، وفتح المواخير والملاهي وكبت حريات الناس بالجنسية والهوية، وطلب من الناس الرخصة والإجازة والضريبة لسفرهم و إقامتهم ، وكسبهم وعملهم،وحيازتهم للأرض أو لسائر المباحات، وفرق بين العجم والعرب والترك والهند، وحدد بلاد الإسلام بالحدود الجغرافية و أحيي

القوميات التي أماتها الإسلام إلى غيرها وغيرها؟ انه لا شك من أكابر الطغاة والمجرمين بقتله الإمام الحسين (ع) أباحته المدينة وهدمه الكعبة، لكن الكلام في أعماله قبل تلك الجرائم الهائلة، التي سببت خروج الإمام الحسين ،ع، ثم ليعلم الذين يجلسون في ما يسمى بمجالس الوزراء، أو مجالس الأمة ، أو مجالس قيادة الثورة، أو ما أشبه ذلك ويضعون القوانين، انهم- إن كان لهم الإيمان بالله واليوم الآخر- يرتكبون أسوأ الجرائم والآثام، ويحشرون أسوأ مما يحشر(الذين قالوا سننزل مثل ما انزل الله) لان هؤلاء يقولون نقرر أفضل مما أنزل الله

إن القانون هو الذي يستفاد من الكتاب والسنة وما عداه

فهو داخل في قوله سبحانه: (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) ، ومن طالع القوانين التي وضعت في العراق، وفي إيران، لرأى أن أغلبها مخالفة لحكم الكتاب والسنة، لا هذا فحسب بل لحكم العقل والعقلاء أيضا

وعلى أي حال فمن الضروري على كل مسلم أن لا

يعبأ بالقوانين الوضعية- لا الكابتة منها فحسب، مما نحن بصدده الآن- بل كل القوانين الوضعية وان يهتم لإزالتها

وبنهى الناس عن اتباعها كنهيه عن سائر المنكرات و
ا لمحرمات

لعله يأتي يوم ترجع إلى بلاد الإسلام حكومتها الواحدة تحت ظلال الكتاب والسنة، ومن الواضح أن السنة بمعناها الأعم الشامل للعترة شرح للكتاب، ولا دستور للمسلمين إلا الكتاب وشرحه الصادر من المعصومين ،ع أما الفقهاء فهم الخبراء بالأحكام الشرعية ولذا صاروا خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم- عند غيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)- حيث قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ، اللهم ارحم خلفائي، قيل يا رسول الله ومن هم خلفائك؟ قال الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي

حرية المعارضة

لقد سمح النبي والوصي صلوات الله عليهما للمعارضة

سواء كانوا أفرادا أو جماعات أن يقوموا بدورهم تعليما للامة في السماح للمعارضة، وان كانا هما معصومين وقد ورد في القرآن الكريم في النبي (ص): (وما ينطق عن الهوى) وقال (ص): في الوصي: (علي مع الحق والحق مع علي) وعليه فلا يحق للحاكم مهما كان أن يكبت المعارضة بل أن يسجنها أو يفرق المظاهرة بالرصاص كما هي عادة حكام بلاد الإسلام اليوم فان ذلك بالإضافة إلى كونه خلاف السيرة- على ما عرفت- وخلاف العقل والمنطق ويوجب كراهة الناس للحاكم مما ينتهي إلى سقوطه وان تسود صفحته في التاريخ كما اسودت تواريخ بني أمية وبني العباس والعثمانيين ومن إليهم من الحكام المستبدين، واليك جملة من التواريخ والروايات الواردة في قضايا المعارضة مع النبي والوصي عليهما والهما الصلاة والسلام

خاتمة

ننقل في هذه الخاتمة بعض المناظرات من رسول

الله (ص) ومن الإمام الرضا (ع) حتى يعلم مدى حرية الإسلام وانه يسمح لكل المذاهب و الأديان ولا يريد إلا الإقناع والبحث والمنطق؟ وهكذا انتشر الإسلام دون ما يتهم بأنه دين السيف فالسيف عند الإسلام لاجل رد الاعتداء سواء كان اعتداء بالقتال مع المسلمين أو اعتداء على الشعوب الضعيفة لسبب المستكبرين والطغاة واحتجاجاتهم عليهم السلام كثيرة لكنا نقتنع بهذا النموذج فقط للالماع والله الموفق والمستعان

٦٢

احتجاج الرسول (ص)

مع رجال خمسة أديان

قال الصادق (ع) في رواية حدثني ابي الباقر، عن جدي

علي بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين سيد الشهداء، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين أنه اجتمع يوما عند رسول الله (ص) أهل خمسة أديان: اليهود، والنصارى، و الدهرية ، والثنوية، ومشركو العرب

فقالت اليهود: نحن نقول: غزير ابن الله، وقد جئناك يا محمد لننظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خاصمناك

وقالت النصارى: نحن نقول: المسيح ابن الله اتحد

به، وقد جئناك لننظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خصمناك

وقالت الدهرية: نحن نقول: الأشياء لا بدء لها وهي دائمة، وقد جئناك لننظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق

إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خصمناك

وقالت والثنوية: نحن نقول: إن النور والظلمة هما المدبران، وقد جئناك لننظر ما تقول: فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خصمناك

وقال مشركو العرب: نحن نقول: إن أوثاننا آلهة

جئناك لننظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وان خالفتنا خصمناك

فقال رسول الله (ص): آمنت بالله وحده لا شريك

له، وكفرت بالجبت وبكل معبود سواه، ثم قال لهم: إن الله تعالى قد بعثني كافة للناس بشيرا ونذيرا حجة على العالمين، وسيرد كيد من يكيد دينه في نحره

احتجاجه (ص) مع اليهود

ثم قال لليهود: أجئتموني لأقبل قولكم بغير حجة

قالوا: لا، قال: فما الذي دعاكم إلى القول بأن عزيزا ابن الله؟ قالوا: لأنه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلا لأنه ابنه

فقال رسول الله (ص): فكيف صار عزيز ابن الله دون

موسى وهو الذي جاءهم بالتوراة ورؤى منه من المعجزات ما قد علمتم؟ فإن كان عزيز ابن الله لما أظهر من الكرامة

بإحياء التوراة فلقد كان موسى بالبنوة أحق وأولى، ولئن كان هذا المقدار من إكرامه لتعزير يوجب أنه ابنه فأضعاف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة أجل من البنوة، وإن كنتم إنما تريدون بالبنوة الولادة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم هذه من ولادة الأمهات الأولاد بوطي آبائهم لهن فقد كفرتم بالله وشبهتموه بخلقه، وأوجبتم فيه صفات المحدثين،ووجب عندكم أن يكون محدثا مخلوقا، وأن يكون له خالق صنعه وابتدعه، قالوا: لسنا نعني هذا، فإن هذا كفر كما ذكرت، ولكنا نعني أنه ابنه على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة، كما يقول بعض علمائنا لمن يريد إكرامه وإبانته بالمنزلة عن غيره: يا بني: وإنه ابني؟ لا على إثبات ولادته منه، لأنه قد يقول ذلك لمن هو أجنبي لا نسب بينه وبينه، وكذلك لصا فعل الله بعزير ما فعل كان قد اتخذه أبنا على الكرامة لا على الولادة؟ فقال رسول الله (ص): فهذا ما قلته لكم: إنه إن وجب على هذا الوجه أن يكون عزير ابنه فإن هذه المنزلة لموسى أولى، وإن الله يفضح كل مبطل بإقراره ويقلب عليه حجته

واما ما احتججتم به يؤديكم إلى أكبر مما ذكرته لكم،

لأنكم قلتم: إن عظيما من عظمائكم قد يقول لأجنبي لا نسب بينه وبينه: يا بني، وهذا ابني، لا على طريق الولادة، فقد

تجدون أيضا هذا العظيم يقول لأجنبي آخر: هذا أخي ولآخر: هذا شيخي وأبي، ولآخر: هذا سيدي ويا سيدي على سبيل الإكرام، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، فإذا يجوز عندكم أن يكون موسى أخا لله أو شيخا له أو آبا أو سيدا لأنه قد زاده في الإكرام مما لعزير كما أن من زاد رجلا في الإكرام قال له: يا سيدي ويا شيخي ويا عمي ويا رئيسي على طريق الإكرام، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، أفيجوز عندكم أن يكون لموسى أخا لله، أو شيخا، أو عما أو رئيسا، أو سيدا أو أميرا؟ لأنه قد زاده في الإكرام على من قال له: يا شيخي أو يا سيدي، أو يا عمي، أو يا أميري، أو يا رئيسي؟قال: فبهت القوم وتحيروا وقالوا. يا محمد أجلنا نتفكر فيما قلته لنا، فقال: انظروا فيه بقلوب معتقدة للإنصاف يهديكم الله

احتجاجه (ص) على النصارى

ثم أقبل (ص) على النصارى فقال. وأنتم قلتم: إن القديم عز وجل اتحد بالمسيح ابنه، فما الذي أردتموه بهذا القول؟ أردتم أن القديم صار محدثا لوجود هذا المحدث الذي هو عيسى؟ أو المحدث الذي هو عيسى صار قديما لوجود القديم الذي هو الله؟ أو معنى قولكم: إنه اتحد به أنه

اختصّه بكرامة لم يكرم بها أحدا سواه؟ فإن أردتم أن القديم تعالى صار محدثا فقد أبطلتم، لأن القديم محال أن ينقلب فيصير محدثا ، وإن أردتم أن المحدث صار قديما فقد أحلتم، لأن المحدث أيضا محال أن يصير قديما وإن أردتم أنه اتحد به بأن اختصه واصطفاه على سائر عباده فقد أقررتم بحدوث عيسى وبحدوث المعنى الذي اتحد به من أجله، لأنه إذا كان عيسى محدثا وكان الله أتحد به بأن احدث به معنى صار به أكرم الخلق عنده فقد صار عيسى وذلك المعنى محدتين ، وهذا خلاف ما بدأتم تقولونه، قال فقالت النصارى: يا محمد إن الله تعالى لما أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتخذه ولدا على جهة الكرامة، فقال لهم رسول الله (ص): قد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الذي ذكرتموه، ثم أعاد (ص) ذلك كله، فسكتوا إلا رجلا واحدا منهم قال له: يا محمد أو لستم تقولون: إن إبراهيم خليل الله؟ قال: قد قلنا ذلك، فقال إذا قلتم ذلك فلم منعتمونا من أن نقول: إن عيسى ابن الله

فقال رسول الله (ص): إنهما لم يشتبها، لأن قولنا

إن إبراهيم خليل الله قائما هو مشتق من الخلة أو الخلة فأما الخلة قائما معناها الفقر والفاقة، وقد كان خليلا إلى ربه فقيرا، وإليه منقطعا ، وعن غيره متعففا معرضا مستغنيا،

وذلك لما أريد قذفه في النار فرمي به في المنجنيق فبعث الله تعالى جبرائيل (ع) وقال له: أدرك عبدي، فجاءه فلقيه في الهواء فقال: كلفني ما بدا لك فقد بعثني الله لنصرتك فقال بل حسبي الله ونعم الوكيل، إني لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلا إليه؟ فسماه خليله أي فقيره ومحتاجه والمنقطع إليه عمن سواه. وإذا جعل معنى ذلك من الخلة وهو أنه قد تخلل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان معناه العالم به وبأموره، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله؟ وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله؟ وأن من يلده الرجل وإن أهانه وأقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده؟ لأن معنى الولادة قائم؟ ثم ان وجب لأنه قال: إبراهيم خليلي أن تقيسوا أنتم فتقولوا: إن عيسى ابنه وجب أيضا أن تقولوا له ولموسى أنه ابنه ، فإن ا لذي معه من المعجزات لم يكن بدون ما كان مع عيسى، فقولوا: إن موسى أيضا ابنه، وإنه يجوز أن تقولوا على هذا المعنى: إنه شيخه وسيده وعمه ورئيسه وأميره كما ذكرته لليهود. فقال بعضهم لبعض: وفي الكتب المنزلة أن عيسى قال: أذهب إلى أبي، فقال رسول الله (ص): فإن كنتم بذلك الكتاب تعملون فإن فيه: أذهب إلى أبي وأبيكم، فقولوا: إن جميع الذين خاطبهم عيسى كانوا أبناء الله كما كان عيسى ابنه من الوجه الذي كان عيسى ابنه، ثم إن ما في هذا الكتاب يبطل

عليكم هذا الذي زعمتم أن عيسى من جهة الاختصاص كان أبنا له، لأنكم قلتم: إنما قلنا: إنه ابنه لأنه اختصه بما لم يختص به غيره، وأنتم تعلمون أن الذي خص به عيسى لم يخص به هؤلاء القوم الذين قال لهم عيسى: أذهب إلى أبي وأبيكم، فبطل أن يكون الاختصاص لعيسى، لأنه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل اختصاص عيسى وأنتم إنما حكيتم لفظة عيسى وتأولتموها على غير وجهها،لأنه إذا قال: أبي وأبيكم فقد أراد غير ما ذهبتم إليه ونحلتموه، وما يدريكم لعله عنى: أذهب إلى آدم أو إلى نوح إن الله يرفعني إليهم ويجمعني معهم، وآدم أبي وأبيكم وكذلك نوح، بل ما أراد غير هذا، فسكتت النصارى وقالوا:ما رأينا كاليوم مجادلا ولا مخاصما وسننظر في أمورنا

احتجاجه (ص) على الدهرية

ثم أقبل رسول الله (ص) على الدهرية فقال: وأنتم فما

الذي دعاكم إلى القول بأن الأشياء لا بدء لها وهي دائمة لم تزل ولا تزال؟ فقالوا: لأنا لا نحكم إلا بما نشاهد ولم نجد للأشياء محدثا فحكمنا بأنها لم تزل، ولم نجد لها انقضاء وفناء فحكمنا بأنها لا تزال، فقال رسول الله (ص)

أفو جدتم لها قدما أم وجدتم لها بقاءً أبد الأبد؟ فإن قلتم: إنكم وجدتم ذلك أثبتتم لأنفسكم أنكم لم تزالوا على هيئتكم وعقولكم بلا نهاية ولا تزالون كذلك، ولئن قلتم هذا دفعتم العيان وكذبّكم العالمون الذين يشاهدونكم، قالوا: بل لم نشاهد لها قدما ولا بقاءً أبد الأبد ، قال رسول الله، ص، فلم صرتم بأن تحكموا بالقدم والبقاء دائما؟ لأنكم لم تشاهدوا حدوثها وانقضاءها أولى من تارك التميّز لها مثلكم، فيحكم لها بالحدوث والانقضاء والانقطاع، لأنه لم يشاهد لها قدما ولا بقاءً أبد الأبد، أو لستم تشاهدون الليل والنهار وأحدهما بعد الآخر؟ فقالوا: نعم، فقال: أفتر ونهما لم يزالا ولا يزالان؟ فقالوا: نعم، قال: أفيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار؟ فقالوا: لا، فقال (ص): فإذا ينقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ويكون الثاني جاريا بعده، فقالوا: كذلك هو، فقال: قد حكمتم بحدوث ما تقدم من ليل ونهار ولم تشاهدوهما فلا تنكروا الله قدرة ثم قال (ص): أتقولون ما قبلكم من الليل والنهار متناه أم غير متناه؟ فإن قلتم: غير متناه فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لأوّله، وإن قلتم: إنه متناه فقد كان ولا شيء منهما، قالوا: نعم، قال لهم: أقلتم: إن العالم قديم غير محدث وأنتم عارفون بمعنى ما أقررتم به وبمعنى ما جحدتموه؟ قالوا: نعم، قال رسول الله ،ص، فهذا الذي نشاهده من الأشياء

بعضها إلى بعض مفتقر، لأنه لا قوام للبعض إلا بما يتصل به، كما ترى البناء محتاجا بعض أجزائه إلى بعض وإلا لم يتسق ولم يستحكم، وكذلك سائر ما نرى، قال: فإذا كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوته وتمامه هو القديم فأخبروني أن لو كان محدثا كيف كان يكون؟ وماذا كانت تكون صفته؟ قال: فصمتوا وعلموا أنهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلا وهي موجودة في هذا الذي زعموا أنه قديم، فوجموا وقالوا: سننظر في أمرنا

احتجاجه (ص) على والثنوية

ثم أقبل رسول الله (ص) على الثنوية الذين قالوا

النور والظلمة هما المدبران فقال: وأنتم فما الذي دعاكم إلى ما قلتموه من هذا؟ فقالوا: لأنا قد وجدنا العالم صنفين: خيرا وشرا، ووجدنا الخير ضدا للشر، فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشيء وضده ، بل لكل واحد منهما فاعل، ألا ترى أن الثلج محال أن يسخن كما أن النار محال أن تبرد فأثبتنا لذلك صانعين قديمين: ظلمة ونورا، فقال لهم رسول الله (ص): أفلستم قد وجدتم سوادا وبياضا وحمرة وصفرة وزرقة؟ وكل واحد ضد لسائرها لاستحالة اجتماع اثنين منهما في محل واحد، كما كان الحر والبرد ضدين لاستحالة اجتماعهما في محل واحد؟ قالوا: نعم قال: فهلا

أثبتتم بعدد كل لون صانعا قديما ليكون فاعل كل ضد من هذه الألوان غير فاعل الضد الآخر؟! قال: فسكتوا

ثم قال: وكيف اختلط هذا النور والظلمة وهذا من

طبعه الصعود وهذا من طبعه النزول؟ أرأيتم لو أن رجلا أخذ شرقا يمشي إليه والآخر غربا يمشي إليه أكان يجوز أن يلتقيا ما داما سائرين على وجوههما؟ قالوا: لا، فقال: وجب أن لا يختلط النور والظلمة، لذهاب كل واحد منهما في غير جهة الآخر، فكيف حدث هذا العالم من امتزاج ما محال أن يمتزج؟ بل هما مدبران جميعا مخلوقان، فقالوا: سننظر في أمورنا

احتجاجه (ص) على مشركي العرب

ثم أقبل على مشركي العرب وقال: وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرب بذلك إلى الله تعالى فقال: أو هي سامعة مطيعة لربها، عابدة له، حتى تتقربوا بتعظيمها إلى الله؟ فقالوا: لا، قال: فأنتم الذين نحتموها بأيديكم فلأن تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة أحرى من أن تعبدوها إذا لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم و عواقبكم والحكيم فيما يكلفكم، قال: فلما قال رسول الله (ص) هذا اختلفوا فقال بعضهم: إن الله قد

حل في هياكل رجال كانوا على هذه الصور فصوّرنا هذه الصور نعظمها لتعظيمنا تلك الصور التي حل فيها ربنا وقال آخرون منهم: إن هذه صور أقوام سلفوا كانوا مطيعين لله قبلنا، فمثلنا صورهم وعبدناها تعظيما لله. وقال آخرون منهم: إن الله لما خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له كنا نحن أحق بالسجود لآدم من الملائكة، ففاتنا ذلك فصورنا صورته فسجدنا له تقربا إلى الله تعالى كما تقربت الملائكة بالسجود لآدم إلى الله تعالى، وكما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة مكة ففعلتم، ثم نصبتم في ذلك البلد بأيديكم محاريب سجدتم إليها وقصدتم الكعبة لا محاريبكم، وقصدكم بالكعبة إلى الله عز وجل لا إليها. فقال رسول الله (ص): أخطأتم الطريق وضللتم، أما أنتم وهو يخاطب الذين قالوا: إن الله يحل في هياكل رجال كانوا على هذه الصور التي صورناها، فصورنا هذه نعظمها لتعظيمنا لتلك الصور التي حل فيها ربنا- فقد وصفتم ربكم بصفة المخلوقات، أو يحل ربكم في شيء حتى يحيط به ذلك الشيء؟ فأي فرق بينه إذا وبين سائر ما يحل فيه من لونه وطعمه ورائحته ولينه وخشونته وثقله وخفته؟ ولم صار هذا المحلول فيه محدثا وذلك قديما دون أن يكون ذلك محدثا وهذا قديما؟ وكيف يحتاج إلى المحال من لم يزل

قبل المحال وهو عز وجل كما لم يزل؟ وإذا وصفتموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال،أما ما وصفتموه بالزوال والحدوث فصفوه بالفناء،لأن ذلك أجمع من صفات الحال والمحلول فيه،وجميع ذلك يغير الذات، فإن كان لم يتغير ذات الباري عز وجل بحلوله في شيء جاز أن لا يتغير بأن يتحرك ويسكن ويسود ويبيض ويحمر ويصفر وتحفه الصفات التي تتعاقب على الموصوف بها حتى يكون فيه جميع صفات المحدثين،ويكون محدثا- عزّ الله تعالى عن ذلك- ثم قال رسول الله، ص،: فإذا بطل ما ظننتموه من أن الله يحل في شيء فقد فسد ما بنيتم عليه قولكم، قال. فسكت القوم وقالوا: سننظر في أمورنا

ثم أقبل على الفريق الثاني فقال: أخبرونا عنكم

إذا عبدتم صور من كان يعبد الله فسجدتم له وصليتم فوضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الذي أبقيتم لرب ا لعالمين؟ أما علمتم أن من حق من يلزم تعظيمه وعبادته أن لا يساوى به عبده؟ أرأيتم ملكا أو عظيما إذا ساويتموه بعبيده في التعظيم والخشوع والخضوع أيكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير؟ فقالوا: نعم، قال: أفلا تعلمون أنكم من حيث تعظمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين له تزرون على رب العالمين؟ قال: فسكت

القوم بعد أن قالوا: سننظر في أمورنا ثم قال رسول الله (ص) للفريق الثالث: لقد ضربتم لنا

مثلاً وشبهتمونا بأنفسكم ولا سواء، وذلك لأنا عباد الله مخلوقون مربو بون نأتمر له فيما أمرنا، وننز جر عما زجرنا، ونعبده من حيث يريده منا، فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه ولم نتعد إلى غيره مما لم يأمرنا ولم يأذن لنا، لأنا لا ندري لعله أراد منا الأول وهو يكره الثاني، وقد نهانا أن نتقدم بين يديه، فلما أمرنا أن نعبده بالتوجه إلى الكعبة أطعنا ثم أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها في سائر البلدان التي نكون بها فأطعنا، فلم نخرج في شيء من ذلك عن اتباع أمره، والله عز وجل حيث أمرنا بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي هي غيره فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه، لأنكم لا تدرون لعله يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به؟ ثم قال لهم رسول الله (ص): أرأيتم لو أذن لكم رجل في دخول داره يوما بعينه ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره؟ أو لكم أن تدخلوا دارا له أخرى مثلها بغير أمره؟ أو وهب لكم رجل ثوبا من ثيابه أو عبدة من عبيده أو دابة من دوابه ألكم أن تأخذوا ذلك؟ فإن لم تأخذوه أخذتم آخر مثله قالوا: لا، لانه لم يأذن لنا في الثاني كما أذن لنا في الأول، قال: فأخبروني: الله أولى بأن لا

يتقدم على ملكه بغير أمره أو بعض المملوكين؟ قالوا. بل الله أولى بأن لا يتصرف في ملكه بغير إذنه، قال: فلم فعلتم، ومتى أمركم أن تسجدوا لهذه الصور؟ قال: فقال القوم: سننظر في أمورنا وسكتوا

وأخيرا.. آمنوا جميعا

وقال الصادق (ع): فو الذي بعثه بالحق نبيا ما أتت على جماعتهم إلا ثلاثة أيام حتى أتوا رسول الله ،ص فأسلموا، وكانوا خمسة وعشرين رجلا من كل فرقة خمسة وقالوا: ما رأينا مثل حجتك يا محمد، نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(قوة الإقناع في الرأي)

وقال الصادق (ع): قال أمير المؤمنين (ع): فأنزل الله تعالى: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ،فكان في هذه الآية ردا على ثلاثة أصناف منهم، لما قال: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) فكان رد على الدهرية الذين قالوا: الأشياء لا بدء لها وهي دائمة، ثم قال ،وجعل الظلمات والنور،فكان ردا على الثنوية الذين قالوا: إن النور والظلمة هما المدبران، ثم قال: ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، فكان ردا على مشركي العرب الذين قالوا: إن

أوثاننا آلهة، ثم أنزل الله تعالى:؟(قل هو الله أحد)، إلى آخرها، فكان ردا على من ادعى من دون الله ضدا أو ندا قال: فقال رسول الله (ص) لأصحابه: قولوا: ، إياك نعبد ،أي نعبد واحدا لا نقول كما قالت الدهرية: إن الأشياء لا بدء لها وهي دائمة، ولا كما قالت الثنوية الذين قالوا: إن النور والظلمة هما المدبران، ولا كما قال مشركو العرب:إن أوثاننا آلهة، فلا نشرك بك شيئا، ولا ندعي من دونك إلها كما يقول هؤلاء الكفار، ولا نقول كما قالت اليهود والنصارى: إن لك ولدا ، تعاليت عن ذلك. قال: فذلك قوله وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، الحديث

قادة قريش يحاججون رسول الله ،ص

في رواية عن ابي محمد العسكري (ع) أنه قال: قلت

لأبي علي بن محمد (ع): هل كان رسول الله (ص) يناظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجهم؟ قال: بلى مرارا كثيرة: منها ما حكى الله تعالى من قولهم: وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل عليه ملك ، إلى قوله: (رجلا مسحورا) (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)(وقالوا لن

نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ؟ إلى قوله: كتابا نقرؤه ، ثم قيل له في آخر ذلك: لو كنت نبيا كموسى لنزلت علينا الصاعقة في مسألتنا إليك، لأن مسألتنا أشد من مسائل قوم موسى لموسى

قال: وذلك أن رسول الله (ص) كان قاعدا ذات يوم

بمكة بفناء الكعبة إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم.الوليد بن المغيرة المخزومي ، وأبو البختري بن هشام وأبو جهل بن هشام، و العاص بن وائل السهمي، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي وكان معهم جمع ممن يليهم كثير،ورسول الله (ص) في نفر من أصحابه يقرء عليهم كتاب الله ويؤدي إليهم عن الله أمره ونهيه، فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محمد وعظم خطبه، فتعالوا: نبدء بتقريعه وتبكيته وتوبيخه والاحتجاج عليه وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه ويصغر قدره عندهم، فلعله أن ينزعه عما هو فيه من غيه وباطله وتمرده وطغيانه، فإن انتهى وإلا عاملناه بالسيف الباتر

قال أبو جهل: فمن الذي يلي كلامه ومجادلته؟ قال

عبد الله بن أبي أمية المخزومي: أنا إلى ذلك، أفما ترضاني له قرنا حسيبا ومجادلا كفيا ؟ قال أبو جهل بلى فأتوه بأجمعهم، فابتدأ عبد الله بن أبي أمية المخزومي فقال: يا محمد ادعيت دعوى عظيمة وقلت مقالا هائلا، زعمت أنك

رسول رب العالمين، وما ينبغي لرب العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله! بشرا مثلنا، تأكل كما نأكل، وتمشي في الأسواق كما نمشي، فهذا ملك الروم وهذا ملك الفرس لا يبعثان رسولا إلا في مال عظيم حال، له قصور ودور و فساطيط وخيام وعبيد وخدام، ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم وهم عبيده، ولو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك ونشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيا لكان إنما يبعث إلينا ملكا لا بشرا مثلنا ما أنت يا محمد إلا مسحورا ولست بنبي

فقال رسول الله (ص): هل بقي من كلامك شيء؟ قال بلى و

أراد الله آن يبعث إلينا رسولا لبعث أجل من فيما بيننا مالا وأحسنه حالا، فهلا نزل هذا القران الذي تزعم أن الله أنزله عليك و أن بعثك به رسولا على رجل من القريتين عظيم:إما الوليد بن المغيرة بمكة، وإما عروة بن مسعود الثقفي بالطائف، فقال رسول الله (ص): هل بقي من كلامك شيء يا عبد الله؟ فقال: بلى، لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا بمكة هذه فإنها ذات أحجار وعرة و جبال، تكسح أرضها وتحفرها وتجري فيها العيون فإننا إلى ذلك محتاجون، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتأكل منها وتطعمنا فتفجر الأنهار خلالها- خلال تلك النخيل والأعناب

تفجيرا ،أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً، فإنك قلت لنا: ، وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم ، فلعلنا نقول ذلك. ثم قال: أو تأتي بالله الملائكة قبيلا ، تأتي به وبهم وهم لنا مقابلون، أو يكون لك بيت من زخرف تعطينا منه وتغنينا به فلعلنا نطغى، فإنك قلت لنا كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى، ثم قال: أو ترقى في السماء، أي تصعد في السماء، ولن نؤمن لرقيبك ، أي لصعودك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه: من الله العزيز الحكيم إلى عبد الله بن أبي أمية المخزومي ومن معه بأن آمنوا بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فإنه رسولي فصدقوه في مقاله، فإنه من عندي، ثم لا أدري يا محمد إذا فعلت هذا كله أؤمن بك أو لا أؤمن بك، بل لو رفعتنا إلى السماء وفتحت أبوابها وأدخلتناها لقلنا: إنما سكرت أبصارنا أو سحرتنا

فقال رسول الله (ص): يا عبد الله أبقي شيء من كلامك، فقال: يا محمد أو ليس فيما أوردته عليك كفاية وبلاغ، ما بقي شيء فقل ما بدا لك وأفصح عن نفسك إن كانت لك حجة و أتنا بما سألناك

فقال رسول الله (ص): اللهم أنت السامع لكل صوت،والعالم بكل شيء، تعلم ما قاله عبادك، فأنزل الله عليه:

يا محمد (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) إلى قوله: (رجلا مسحورا) ثم قال الله تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ثم قال: يا محمد: ، تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا وأنزل عليه: يا محمد (فلعقك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك)الآية ، وأنزل عليه: يا محمد (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر)إلى قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون ، فقال له رسول الله (ص): يا عبد الله أما ما ذكرت من أني آكل الطعام كما تأكلون، وزعمت أنه لا يجوز لأجل هذه أن أكون لله رسولا؟ فإنما الأمر لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو محمود، وليس لك ولا لأحد الاعتراض عليه بلم وكيف ألا ترى أن الله كيف أفقر بعضا وأغنى بعضا، وأعزّ بعضا وأذل بعضا ، وأصح بعضا وأسقم بعضا، وشرف بعضا ووضع بعضا، وكلهم ممن يأكل الطعام؟ ثم ليس للفقراء أن يقولوا: لتم أفقرتنا وأغنيتهم؟ ولا للوضعاء أن يقولوا: لم وضعتنا وشرّفتهم ولا للزمنى والضعفاء أن يقولوا: لم أزمنتنا وأضعفتنا وصححتهم ؟ ولا للأذلاء أن يقولوا: لم أذللتنا وأعززتهم؟ولا لقباح الصور أن يقولوا لم أقبحتنا وجملتهم بل إن قالوا ذلك كانوا على ربهم

رادين، ولى في أحكامه منازعين وبه كافرين، ولكان جوابه لهم: ،أنا الملك الخافض الرافع المغني المفقر المعز المذل المصحح المسقم، وأنتم العبيد ليس لكم إلا التسليم لي والانقياد لحكمي، فإن سقمتم كنتم عبادا مؤمنين، وإن أبيتم كنتم بي كافرين وبعقوباتي من الهالكين، ثم أنزل الله عليه يا محمد: قل إنما أنا بشر مثلكم ، يعني آكل الطعام ، يوحى إلي، أنما إلهكم إله واحد ، يعني قل لهم: أنا في. البشرية مثلكم، ولكن ربي خصني بالنبوة دونكم، كما يخص بعض البشر بالغنى والصحة والجمال دون بعض من البشر، فلا تنكروا أن يخصني أيضا بالنبوة

ثم قال رسول الله (ص): وأما قولك. هذا ملك

الروم وملك الفرس لا يبعثان رسولا إلا كثير المال عظيم الحال له قصور ودور وفساطيط وخيام وعبيد وخدام ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فإنهم عبيده، فإن الله له التدبير والحكم، لا يفعل على ظنك وحسبانك ولا باقتراحك، بل يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد وهو محمود، يا عبد الله إنما بعث الله نبيه ليعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى ربهم، ويكد نفسه في ذلك آناء ليله ونهاره، فلو كان صاحب قصور يحتجب فيها وعبيد وخدم يسترونه عن الناس أليس كانت الرسالة تضيع والأمور تتباطأ؟ أو ما ترى الملوك إذا احتجبوا كيف يجري الفساد والقبائح من حيث لا يعلمون به ولا

يشعرون؟ يا عبد الله إنما بعثني الله ولا مال لي ليعرفكم قدرته وقوته وأنه هو الناصر لرسوله، لا تقدرون على قتله ولا منعه من رسالته، فهذا أبين في قدرته وفي عجزكم، وسوف يظفرني الله بكم فأوسعكم قتلا وأسرا، ثم يظفرني الله ببلادكم، ويستولي عليها المؤمنون من دونكم ودون من يوافقكم على دينكم

ثم قال رسول الله (ص): وأما قولك: ولو كنت نبيا

لكان معك ملك يصدقك ونشاهده، بل لو أراد أن يبعث إلينا نبيا لكان إنما يبعث لنا ملكا لا بشرا مثلنا، فالملك لا تشاهده حواسكم، لأنه من جنس هذا الهواء لا عيان منه، ولو شاهدتموه بأن يزاد في قوى أبصاركم لقلتم. ليس هذا ملكا بل هذا بشر، لأنه إنما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي قد ألفتموه لتفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده، فكيف كنتم تعلمون صدق الملك وأن ما يقوله حق؟ بل إنما بعث الله بشرا وأظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم، فتعلمون بعجزكم إنما جاء به أنه معجزة، وأن ذلك شهادة من الله بالصدق له ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدلكم أن ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معجزا، ألا ترون أن الطيور التي تطير ليس ذلك منها بمعجز لأن لها أجناسا يقع

منها مثل طيرانها، ولو أن آدميا طار كطيرانها كان ذلك معجزا، فالله عز وجل سهل عليكم الأمر، وجعله بحيث يقوم عليكم حجته، وأنتم تقترحون علم الصعب الذي لا حجة فيه

ثم قال رسول الله (ص): وأما قولك: ما أنت إلا

رجل مسحور فكيف أكون كذلك وقد تعلمون أني في صحة التمييز والعقل فوقكم؟ فهل جربتم علي منذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنة خزيه أو ذلة أو كذبة أو جناية أو خطأ من القول، أو سفها من الرأي؟ أتظنون أن رجلا يعتصم طول هذه المدة بحول نفسه وقوتها أو بحول الله وقوته؟وذلك ما قال الله تعالى: ، انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا، إلى أن يثبتوا عليك عمى بحجة اكثر من دعا ويهم الباطلة التي يبين عليك التحصيل بطلانها

ثم قال رسول الله (ص): وأما قولك: لولا نزل هذا

القرآن على رجل من القريتين عظيم، الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بالطائف، فإن الله ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت، ولا خطر له عنده كما له عندك، بل لو كانت الدنيا عنده تعدل جناح بعوضة لما سقى كافرا به مخالفا له شربة ماء، وليس قسمة رحمة الله إليك، بل الله هو القاسم للرحمات والفاعل لما يشاء في عبيده وإمائه، وليس

هو عز وجل ممن يخاف أحدا كما تخافه أنت لماله وحاله، فعرفته بالنبوة لذلك، ولا ممن يطمع في أحد في ماله أو حاله كما تطمع فتخصه بالنبوة لذلك، ولا ممن يحب أحدا محبة الهوى كما تحب فيقدم من لا يستحق التقديم، وإنما معاملته بالعدل فلا يؤثر لأفضل مراتب الدين وخلاله إلا الأفضل في طاعته والأجد في خدمته، وكذا لا يؤخر في مراتب الدين وخلاله إلا أشدهم تباطئا عن طاعته وإذا كان هذا صفته لم ينظر إلى مال ولا إلى حال، بل هذا المال والحال من تفضله، وليس لأحد من عباده عليه ضريبة لازمة، فلا يقال له: إذا تفضلت بالمال على عبد فلا بد أن تتفضل عليه بالنبوة أيضا لأنه ليس لأحد إكراهه على خلاف مراده، ولا إلزامه تفضلا، لأته تفضل قبله بنعمة، ألا ترى يا عبد الله كيف أغنى واحدا وقبح صورته؟ وكيف حسن صورة واحد وأفقره؟ وكيف شرف واحدا وأفقره؟ وكيف أغنى واحدا و وضعه؟ ثم ليس لهذا الغني أن يقول: هلا أضيف إلى يساري جمال فلان؟ ولا للجميل أن يقول: هلا أضيف إلى جمالي مال فلان؟ ولا للشريف أن يقول: هلا أضيف إلى شرفي مال فلان؟ ولا للوضيع أن يقول: هلا أضيف إلى ضعتي شرف فلان؟ ولكن الحكم لله، يقسم كيف يشاء، ويفعل كما يشاء، وهو حكيم في أفعاله، محمود في أعماله، وذلك قوله: وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل

من القريتين عظيم ، قال الله تعالى: (أهم يقسمون رحمة ربك يا محمد(نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) فأحوجنا بعضا إلى بعض: أحوج هذا إلى مال ذلك، وأحوج ذلك إلى سلعة هذا وإلى خدمته، فترى أجل الملوك وأغنى الأغنياء محتاجا إلى أفقر الفقراء في ضرب من الضروب إما سلعة معه ليست معه، وإما خدمة يصلح لها لا يتهيأ لذلك الملك أن يستغني إلا به، وإما باب من العلوم والحكم هو فقير إلى أن يستفيدها من هذا الفقير الذي يحتاج إلى مال ذاك الملك الغني وذلك الملك يحتاج إلى علم هذا الفقير أو رأيه أو معرفته، ثم ليس للملك أن يقول: هلا اجتمع إلى مالي علم هذا الفقير؟ ولا للفقير أن يقول: هلا اجتمع إلى رايي وعلمي ما أتصرف فيه من فنون الحكم مال هذا الملك الغني؟ ثم قال: ف ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ثم قال: يا محمد قل لهم: ورحمة ربك خير مما يجمعون ، أي ما يجمعه هؤلاء من أموال الدنيا

ثم قال رسول الله (ص): وأما قولك: لن نؤمن لك

حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا إلى آخر ما قلته، فإنك اقترحت على محمد رسول الله أشياء: منها ما لو جاءك به لم يكن برهانا لنبوته، ورسول الله يرتفع أن يغتنم جهل الجاهلين، ويحتج عليهم بما لا حجة فيه

ومنها ما لو جاءك به كان معه هلاكك، وإثما يؤتى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الإيمان بها لا ليهلكوا بها، فإثما اقترحت هلاكك ورب العالمين أرحم بعباده وأعلم بمصالحهم من أن يهلكهم بما يقترحون

ومنها المحال! الذي لا يصح ولا يجوز كونه، ورسول

رب العالمين يعرفك ذلك ويقطع معاذيرك ويضيق عليك سبيل مخالفته، ويلجئك بحجج الله إلى تصديقه حتى لا يكون لك عند ذلك محيد ولا محيص

ومنها ما قد اعترفت على نفسك أنك فيه معاند متمرد

لا تقبل حجة ولا تصغي إلى برهان، ومن كان كذلك فدواؤه عذاب الله النازل من سمائه أو في جحيمه أو بسيوف أوليائه. وأما قولك يا عبد الله: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من

الأرض ينبوعا بمكة هذه فإنها ذات حجارة وصخور وجبال،تكسح أرضها وتحفرها، وتجري فيها العيون فإننا إلى ذلك محتاجون، فإنك سألت هذا وأنت جاهل بدلائل الله، يا عبد الله أرأيت لو فعلت هذا كنت من أجل هذا نبيا د؟ قال. لا، قال.أرأيت الطائف التي لك فيها بساتين؟ أما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلحتها وذللتها وكسحتها وأجريت فيها عيونا استنبطتها؟ قال: بلى، قال. وهل لك فيها نظراء قال: بلى، قال أفصرت بذلك أنت وهم

أنبياء؟ قال: لا، قال: فكذلك لا يصير هذا حجة لمحمد لو فعله على نبوته، فما هو إلا كقولك: لن يؤمن لك حتى تقوم وتمشي على الأرض ، أو حتى تأكل الطعام كما يأكل الناس

وأما قولك يا عبد الله: أو تكون لك جنة من نخيل

وعنب فتأكل منها وتطعمنا وتفجر الأنهار خلالها تفجيرا، أو ليس لأصحابك ولك جنات من نخيل وعنب بالطائف تأكلون وتطعمون منها، وتفخرون الأنهار خلالها تفجيرا؟ أفصرتم أنبياء بهذا؟ قال. لا، قال: فما بال اقتراحكم على رسول الله ص أشياء لو كانت كما تقترحون لما دلت على صدقه، بل لو تعاطاها لدلت تعاطيها على كذبه، لأنه حينئذ يحتج بما لا حجة فيه، ويختدع الضعفاء عن عقولهم وأديانهم، ورسول رب العالمين يجل ويرتفع عن هذا

ثم قال رسول الله (ص): يا عبد الله وأما قولك: أو

تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فإنك قلت: ، وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم ، فإن في سقوط السماء عليكم هلاككم وموتكم، فإنما تريد بهذا من رسول الله (ص) أن يهلكك، ورسول رب العالمين أرحم بك من ذلك، لا يهلكك ولكنه يقيم عليك حجج الله، وليس حجج الله لنبيه على حسب اقتراح عباده لأن العباد جهال بما يجوز

من الصلاح وبما لا يجوز من الفساد، وقد يختلف اقتراحهم ويتضاد حتى يستحيل وقوعه، والله لا يجري تدبيره على ما يلزم به المحال

ثم قال رسول الله (ص): وهل رأيت يا عبد الله طبيبا

كان دواؤه للمرضى على حسب اقتراحاتهم؟ وإنما يفعل به ما يعلم صلاحه فيه، أحبه العليل أو كرهه، فأنتم المرضى والله طبيبكم، فإن أنفذتم لدوائه شفاكم، وإن تمردتم عليه أسقمكم، وبعد فمتى رأيت يا عبد الله مدعي حق من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكامهم فيما مضى بينة على دعواه على حسب اقتراح المدعي عليه؟ إذا ما كان يثبت لأحد على أحد دعوى ولا حق، ولا كان بين ظالم ومظلوم ولا بين صادق وكاذب

ثم قال: يا عبد الله وأما قولك: أو تأتي بالله والملائكة قبيلا يقابلوننا ونعاينهم فإن هذا من المحال الذي لا خفاء به لأن ربنا عز وجل ليس كالمخلوقين يجيء ويذهب ويتحرك ويقابل شيئا حتى يؤتى به، فقد سألتموه بهذا المحال، وإنما هذا الذي دعوت إليه صفة أصنامكم الضعيفة المنقوصة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم ولا تغني عنكم شيئا ولا عن أحد، يا عبد الله أو ليس لك ضياع وجنات بالطائف وعقار بمكة وقوام عليها؟ قال: بلى، قال:افتشاهد جميع أحوالها بنفسك أو بسفراء بينك وبين

معامليك ؟ قال بسفراء، قال: أرأيت لو قال معاملوك وأكرتك وخدمتك لسفرائك: لا نصدقكم في هذه السفارة إلا أن تأتونا بعبد الله بن أبي أمية لنشاهده فنسمع ما تقولون عنه شفاها كنت تسوغنهم هذا، أو كان يجوز لهم عندك ذلك؟ قال: لا، قال: فما الذي يجب على سفرائك؟ أليس أن يأتوهم عنك بعلامة صحيحة تدلهم على صدقهم يجب عليهم أن يصدقوهم؟ قال: بلى، قال: يا عبد الله أرأيت سفيرك لو أنه لما سمع منهم هذا عاد إليك وقال: قم معي فإنهم قد اقترحوا علي مجيئك معي أليس يكون لك مخالفا ؟ وتقول له: إنما أنت رسول لا مشير وآمر؟ قال: بلى، قال: فكيف صرت تقترح على رسول رب العالمين ما لا تسوغ على أكرتك ومعامليك أن يقترحوه على رسولك إليهم؟ وكيف أردت من رسول رب العالمين أن يستذم على ربه بأن يأمر عليه وينهى وأنت لا تسوغ مثل هذا على رسولك إلى أكرتك وقوّامك هذه حجة قاطعة لإبطال جميع ما ذكرته في كل ما اقترحته يا عبد الله

وأما قولك يا عبد الله: أو يكون لك بيت من زخرف–

وهو الذهب– أما بلغك أن لعظيم مصر بيوتا من زخرف قال: بلى، قال: افصار بذلك نبيا؟ قال: لا، قال. فكذلك لا توجب لمحمد لو كانت له نبوة ومحمد لا يغتنم جهلك بحجج الله

وأما قولك يا عبد الله: أو ترقى في السماء، ثم

قلت: ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه، يا عبد الله الصعود إلى السماء أصعب من النزول عنها، وإذا اعترفت على نفسك أنك لا تؤمن إذا صعدت فكذلك حكم النزول، ثم قلت: حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه، ثم من بعد ذلك لا أدري أؤمن بك أو لا أؤمن بك، فأنت يا عبد الله تقول بأنك تعاند حجة الله عليك، فلا دواء لك إلا تأديبه على يد أوليائه البشر، أو ملائكته الزبانية، وقد أنزل الله علي حكمة جامعة لبطلان كل ما اقترحته، فقال تعالى. (قل) يا محمد(سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) ما ابعد ربي عن أن يفعل الأشياء على ما تقترحه الجهال بما يجوز وبما لا يجوز (وهل كنت إلا بشرا رسولا) لا يلزمني إلا إقامة حجة الله التي أعطاني وليس لي أن آمر على ربي ولا أنهى ولا أشير، فأكون كالرسول الذي بعثه ملك إلى قوم من مخالفيه فرجع إليه يأمره أن يفعل بهم ما اقترحوه عليه

١ لرد على أبي جهل

فقال أبو جهل: يا محمد ههنا واحدة، ألست زعمت أن

قوم موسى احترقوا بالصاعقة لما سألوه أن يريهم الله جهرة ؟ قال بلى، قال: فلو كنت نبيا لاحترقنا نحن أيضا فقد سألنا أشد مما سأل قوم موسى، لأنهم زعمت أنهم قالوا: ، أرنا الله جهرة م

ونحن نقول: لن نؤمن لك حتئ تأتي بالله والملائكة قبيلا ونعاينهم

فقال رسول الله (ص): يا أبا جهل أما علمت قصة

إبراهيم الخليل (غ) لما رفع في الملكوت ؟ وذلك قول ربي وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) قوي الله بصره لما رفعه دون السماء حتى ابصر الأرض! ومن عليها ظاهرين ومستترين، فرأى رجلا وأمرأة على فاحشة فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا ثم رأى آخرين فهم بالدعاء عليهما فأوحى الله إليه: أن يا إبراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي، فإني أنا الغفور الرحيم الجبار الحليم لا تضرني ذنوب عبادي وإمائي كما لا تنفعني طاعتهم، ولست أسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك، فاكفف دعوتك عن عبادي، فإنما أنت عبد نذير، لا شريك في المملكة، ولا مهيمن علي، وعبادي معي بين خلال ثلاث. إما تابوا إلي فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم وسترت عيوبهم؟ وإما كففت عنهم عذابي لعلمي بأنه سيخرج من أصلابهم ذريات مؤمنون، فأرفق بالآباء الكافرين، وأتأتى بالأمهات الكافرات وأرفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم، فإذا تزايلوا حق بهم عذابي وحاق بهم بلائي ؟ وإن لم يكن هذأ ولا هذا فإن الذي أعددت لهم من عذابي أعظم مما تريده بهم، فإن

عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي- يا إبراهيم فخل بيني وبين عبادي، فإني ارحم بهم منك، وخل بيني وبين عبادي فإني أنا الجبار الحليم العلام الحكيم، أدبرهم بعلمي وأنفذ فيهم قضائي وقدري

ثم قال رسول الله (ص): إن الله يا أبا جهل إثما دفع

عنك العذاب لعلمه بأنه سيخرج من صلبك ذرية طيبة: عكرمة ابنك، وسيلي من أمور المسلمين ما إن أطاع الله فيه كان عند الله جليلا، وإلا فالعذاب نازل عليك، وكذلك سائر قريش السائلين لما سألوا من هذا إنما أمهلوا لأن الله علم أن بعضهم سيؤمن بمحمد وينال به السعادة فهو لا يقتطعه عن تلك السعادة ولا يبخل بها عليه، أو من يولد منه مؤمن فهو ينظر أباه لإيصال ابنه إلى السعادة، ولولا ذلك لنزل العذاب بكافتكم

٩٣

الإمام الرضا

يحاجج علماء المذاهب الباطلة

في مؤتمر هام عقده المأمون العبا سي وجمع فيه أقطاب المعارضة الفكرية وعلماء الأديان الباطلة.. وحضر الإمام الرضا (ع).. وامتد مجلس المؤتمر إلى حين أفحم الإمام (ع) حجج الأحبار والحاخامات وغيرهم

جاء في الحديث: لما قدم علي بن موسى الرضا (عليه السلام) على المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق(١) وراس الجالوت ورؤساء الصابئين، والهربذ الأكبر، وأصحاب

(١) الجاثليق: متقدم الاساقفة. الصابئون جمع الصابىء، وهو من انتقل إلى دين آخر، وكل خارج من دين كان عليه الى آخر غيره

سمى في اللغة صابئآ، قال أبو زيد: صبأ الرجل في دينه يصبؤ صبوءآ: اذا كان صابئآ، فكان معنى الصابىء التارك دينه الذي=

٩٤

ذر هشت (١) و نسطاس ا لرومي و المتكلمين ليسمع كلامه وكلامهم. فجمعهم الفضل بن سهل ثم أعلم المأمون باجتماعهم، فقال المأمون: أدخلهم علي ففعل فرحب بهم المأمون، ثم قال لهم: إني إنما جمعتكم لخير وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني، القادم علي فإذا كان بكرة فاغدوا علي ولا يتخفف منكم أحد ، فقالوا: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين نحن مبكرون إن شاء الله

شرع له الى دين غيره، والدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم أو تعظيمها، قال قتادة: وهم قوم معروفون ولهم مذهب ينفردون به، ومن دينهم عبادة النجوم وهم يقرون بالصانع وبالمعاد وببعض الانبياء وقال مجاهد والحسن: الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم، وقال السدي: هم طائفة من أهل الكتاب يقرأون الزبور، وقال الخليل: هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى الا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار يزعمون انهم على دين نوح، وقال ابن زيد: هم اهل دين من الاديان كانوا بالجزيرة جزيرة الموصل يقولون: لا اله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الذ، وقال آخرون: هم طائفة من اهل الكتاب. والفقهاء بأجمعهم يجيزون أخذ الجزية منهم، وعندنا لا يجوز ذلك لانهم ليسوا بأهل الكتاب. قاله الطبرسي في مجمع البيان. وقد كتبت انا تفصيلاً حول الصابئين في كتاب مستقل باسم " الصابئة

في عقيدتهم وشريعتهم ".

(١) في العيون زردشت.

٩٥

قال الحسن بن محمد النوفلي: فبينا نحن في حديث

لنا عند أبي الحسن الرضا (ع) إذ دخل علينا ياسر، وكان يتولى أمر أبي الحسن الرضا (ع) فقال له: يا سيدي إن أمير المؤمنين يقرؤك السلام ويقول: فداك أخوك، إنه اجتمع إلي أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمون من جميع الملل فرأيك في البكور علينا إن أحببت كلامهم، وإن كرهت ذلك فلا نتجشم، وإن أحببت أن نصير إليك خف ذلك علينا. فقال أبو الحسن (ع): أبلغه السلام وقل له: قد علمت ما أردت وأنا صائر إليك بكرة إن شاء الله

قال الحسن بن محمد النوفلي: فلما مضى ياسر التفت إلينا ثم قال لي: يا نوفلي أنت عراقي ورقة العراقي غير غليظة، فما عندك في جمع ابن عمك علينا أهل الشرك و .اصحاب المقالات؟ فقلت: جعلت فداك يريد الامتحان ويحب أن يعرف ما عندك، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان، وبئس والله ما بنى، فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟ قلت: إن أصحاب الكلام والبدع خلاف العلماء وذلك أن العالم لا ينكر غير المنكر، وأصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهتة، إن احتججت عليهم بأن الله واحد قالوا: صحح وحدانيته ، وإن قلت: إن محمدا رسول الله، قالوا: أثبت رسالته، ثم

يباهتون الرجل وهو يبطل عليهم بحجته ويغالطونه حتى يترك قوله، فاحذرهم جعلت فداك، قال: فتبسم (ع) ثم قال، يا نوفلي افتخاف أن يقطعوني علي حجتي؟ قلت: لا والله ما خفت عليك قط، وإني لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله. فقال لي: يا نوفلي أتحب أن تعلم متى يندم المأمون؟ قلت: نعم، قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبور هم ، وعلى الصابئين بعبرانيتهم، وعلى الهرابذة بفار سيتهم، وعلى أهل الروم برميتهم ، وعلى اصحاب المقالات بلغاتهم، فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجته وترك مقالته ورجع إلى قولي علم المأمون أن الموضع الذي هو بسبيله ليس بمستحق له، فعند ذلك تكون الندامة منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فلما أصبحنا أتانا الفضل بن سهل فقال له: جعلت

فداك ابن عمك ينتظرك وقد اجتمع القوم فما رأيك في إتيانه؟ فقال له الرضا (ع) تقدمني فإني سائر إلى ناحيتكم إن شاء الله، ثم توضأ (ع) وضوءه للصلاة، وشرب شربة سويق وسقانا منه، ثم خرج وخرجنا معه حتى دخلنا على المأمون، فإذا المجلس غاص بأهله، ومحمد بن جعفر في جماعة الطالبيين والهاشميين والقواد حضور، فلما دخل

الرضا (ع) قام المأمون وقام محمد بن جعفر وجميع بني هاشم، فما زالوا وقوفا والرضا (عليه السلام) جالس مع المأمون حتى أمرهم بالجلوس فجلسوا، فلم يزل المأمون مقبلا عليه يحدثه ساعة

الرضا(ع) يفحم كبير ا لنصارى

ثم التفت إلى الجاثليق فقال: يا جاثليق هذا ابن عمي

علي بن موسى بن جعفر، وهو من ولد فاطمة بنت نبينا وابن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما فأحسن أن تكلمه وتحاجه وتنصفه، فقال الجاثليق: يا أمير المؤمنين كيف أحاج رجلا يحتج علي بكتاب أنا منكره، ونبي لا أؤمن به؟ فقال له الرضا (ع): يا نصراني فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقر به؟ قال الجاثليق: وهل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل؟ نعم والله أقر به على رغم أنفي، فقال له الرضا (ع): سل عما بدا لك وافهم الجواب

قال الجاثليق: ما تقول في نبوة عيسى وكتابه؟ هل

تنكر منهما شيئا؟ قال الرضا (ع): أنا مقر بنبوة عيسى وكتابه وما بشر به أمته وأقرت به الحواريون وكافر بنبوة كل عيسى لم يقر بنبوة محمد (ص) وبكتابه ولم يبشر به أمته، قال الجاثليق: أليس إنما الإحكام بشاهدي عدل؟ قال: بلى، قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوة محمد ممن

لا تنكره النصرانية، وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا

قال الرضا (ع): الآن جئت بالنصفة يا نصراني ألا

تقبل مني العدل المقدم عند المسيح عيسى بن مريم؟ قال الجاثليق: من هذا العدل؟ سمه لي، قال: ما تقول في يوحنا الديلمي؟ قال: بخ بخ، ذكرت أحب الناس إلى المسيح، قال (ع): فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل أن يوحنا قال: إن المسيح أخبرني بدين محمد العربي، وبشرني به أنه يكون من بعده فبشرت به الحواريين فآمنوا به؟ قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح وبشر بنبوة رجل وبأهل بيته ووصيه ولم يلخص متى يكون ذلك، ولم يسم لنا القوم فنعرفهم، قال الرضا (ع): فإن جئناك بمن يقرء الإنجيل فتلا عليك ذكر محمد وأهل بيته وأمته أتؤمن به؟ قال: شديدا، قال الرضا (ع) لنسطاس الرومي: كيف حفظك للسفر الثالث من الإنجيل؟ قال: ما احفظني له ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: ألست تقرأ الإنجيل؟ قال: بلى لعمري فخذ علي السفر الثالث، فإن كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وأمته فاشهدوا لي، وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي، ثم قرأ (ع) السفر الثالث حتى إذا بلغ ذكر النبي (ص) وقف، ثم قال: يا نصراني إني أسألك

بحق المسيح وأمه أتعلم أني عالم بالإنجيل؟ قال: نعم، ثم تلا علينا ذكر محمد وأهل بيته وأفته، ثم قال: ما تقول يا نصراني؟ هذا قول عيسى بن مريم، فإن كذبت ما ينطق به الإنجيل فقد كذبت موسى وعيسى عليهما السلام ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل، لأنك تكون قد كفرت بربك وبنبيك وبكتابك؟ قال الجاثليق: لا أنكر ما قد بان لي في الإنجيل، وأني لمقر به، قال الرضا (ع): أشهدوا على إقراره

ثم قال: يا جاثليق سل عما بدا لك، قال الجاثليق أخبرني عن حواريي عيسى بن مريم كم كان عدتهم؟ وعن علماء الإنجيل كم كانوا؟ قال الرضا (ع): على الخبير سقطت ، أما الحواريون فكانوا اثني عشر رجلا، وكان أفضلهم وأعلمهما ألوقا، وأما علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال: يوحنا الأكبر بأج ويوحنا بقر قيسا ويوحنا الديلمي بزجار، وعنده كان ذكر النبي (ص)، وذكر أهل بيته وأمته وهو الذي بشر أمته عيسى وبني إسرائيل به

ثم قال له: يا نصراني والله إنا لنؤمن بعيسى الذي

آمن بمحمد (ص) وما ننقم على عيسا كم شيئا إلا ضعفه وقلة صيامه وصلاته، قال الجاثليق ، أفسدت والله علمك

وضعفت أمرك، وما كنت ظننت إلا أنك أعلم أهل الإسلام قال الرضا (ع): وكيف ذاك؟ قال الجاثليق: من قولك: إن عيسى كان ضعيفا قليل الصيام، قليل الصلاة، وما أفطر عيسى يوما قط، ولا نام بليل قط، وما زال صائم الدهر، قائم الليل؟ قال الرضا (عليه السلام): فلمن كان يصوم ويصفي؟ قال: فخرس الجاثليق وانقطع

قال الرضا (ع): يا نصراني أسألك عن مسألة، قال:

سل فإن كان عندي علمها أجبتك؟ قال الرضا (ع): ما أنكرت أن عيسى كان يحي الموتى بإذن الله عر وجل؟ قال الجاثليق: أنكرت ذلك من قبل أن من أحيا الموتى وأبرأ ألاكمه والأبرص فهو رب مستحق لأن يعبد، قال الرضا (ع): فإن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى: مشى على الماء، وأحيا الموتى، وأبرأ ألاكمه والأبرص فلم تتخذه أمته ربا ، ولم يعبده أحد من دون الله عز وجل، ولقد صنع حز قيل النبي مثل ما صنع عيسى بن مريم فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة

ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال له: يا رأس الجالوت أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل

في التوراة؟ اختارهم بخت نصر من سبى بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس ثم انصرف بهم إلى بابل فأرسله الله تعالى عز وجل

إليهم فأحياهم الله، هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه، قال: صدقت، ثم قال يا يهودي خذ علي هذا السفر من التوراة، فتلا ،ع ،علينا من التوراة آيات فأقبل اليهودي يترحج لقراءته ويتعجب ثم أقبل على النصراني فقال: يا نصراني أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟ قال: بل كانوا قبله قال الرضا (ع): لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله ،ص فسألوه أن يحي لهم موتاهم، فوجه معهم علي بن أبي طالب ع، فقال له: اذهب إلى الجبانة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك: يا فلان، ويا فلان، ويا فلان، يقول لكم محمد رسول الله: قوموا بإذن الله عر وجل، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم، ثم أخبروهم أن محمدا (ص) قد بعث نبيا وقالوا: وددنا إنا أدركناه فنؤمن به، ولقد أبرأ الأكمة والأبرص والمجانين، وكلمه البهائم والطير والجن والشياطين، ولم نتخذه ربا من دون الله عز وجل، ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم، فمتى اتخذتم عيسى ربا جاز لكم أن تتخذوا اليسع و الحز قيل ، لأنهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى من إحياء الموتى وغيره، وإن قوما من بني إسرائيل

هربوا من بلادهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة فلم يزالوا فيها حتى نخرت عظامهم وصاروا رميما، فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ومن كثرة العظام البالية، فأوحى الله عر وجل إليه: أتحب أن أحييهم لك فتنذرهم؟ قال: نعم يا رب، فأوحى الله عر وجل إليه: أن نادهم، فقال: أيها العظام البالية قومي بإذن الله عز وجل، فقاموا أحياء أجمعون، ينفضون التراب عن رؤوسهم، ثم إبراهيم خليل الرحمن حين اخذ الطير فقطعهن قطعا، ثم وضع على كل جبل منهن جزء، ثم ناداهن فأقبلن سعيا إليه؟ ثم موسى بن عمران وأصحابه السبعون الذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل فقالوا له: إنك قد رأيت الله سبحانه، فأرناه كما رأيته، فقال لهم: إني لم أره، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم ، وبقي موسى وحيدا فقال: يا رب إني اخترت سبعين رجلا من بني إسرائيل فجئت بهم وأرجع وحدي فكيف يصدقني قومي بما أخبرهم به؟ فلو شئت أهلكتهم من قبل وإياي، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ فأحياهم الله عز وجل من بعد موتهم، وكل شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه، لأن التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قد نطقت به، فإن كان كل من أحيا الموتى وأبرأ الأكمة

والأبرص والمجانين يتخذ ربا من دون الله فاتخذ هؤلاء كفهم أربابا ما تقول يا يهودي؟ قال الجاثليق: القول قولك، ولا إله إلا الله

كبير اليهود يصدق حجج الرضا،ع

ثم التفت (ع) إلى رأس الجالوت فقال: يا يهودي أقبل علي أسألك بالعشر الآيات التي أنزلت على موسى بن عمران هل تجد في التوراة مكتوبا نبأ محمد وأمته ، إذا جاءت الأمة الأخيرة أتباع راكب البعير يسبحون الرب جدا جدا تسبيحا جديدا في الكنائس الجدد فليفزع بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم لتطمئن قلوبهم، فإن بأيديهم سيوفا ينتقمون بها من ألامم الكافرة في أقطار الأرض ،أهكذا هو في التوراة مكتوب؟ قال رأس الجالوت: نعم أنا لنجده كذلك. ثم قال للجاثليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا؟ قال: أعرفه حرفا حرفا، قال لهما: أتعرفان هذا من كلامه: ، يا قوم إني رأيت صورة راكب الحمار لابسا جلابيب النور، ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر،؟ فقالا: قد قال ذلك شعيا

قال الرضا (ع): يا نصراني هل تعرف في الإنجيل

قول عيسى: ، إني ذاهب إلى ربكم وربي والبارقليطا جاء

هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت له، وهو الذي يفسر لكم كل شيء، وهو الذي يبدي فضائح الأمم ، وهو الذي يكسر عمود الكفر فقال الجاثليق: ما ذكرت شيئا في الإنجيل إلا ونحن مقرون به، قال: أتجد هذا في الإنجيل ثابتا يا جاثليق قال: نعم

قال الرضا (ع): يا جائليق ألا تخبرني عن الإنجيل

الأول حين افتقدتموه عند من وجدتموه؟ ومن وضع لكم هذا الإنجيل قال له: ما افتقدنا الإنجيل إلا يوما واحدا حتى وجدناه غضا طريا فأخرجه إلينا يوحنا ومتى، فقال له الرضا (ع): ما أقل معرفتك بسر الإنجيل وعلمائه ؟ فإن كان هذا كما تزعم فلم اختلفتم في الإنجيل؟ وإنما وقع الاختلاف في هذا الإنجيل الذي في أيديكم اليوم، فلو كان على العهد الأول لم تختلفوا فيه، ولكني مفيدك علم ذلك، اعلم أنه لما افتقد الإنجيل الأول اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم: قتل عيسى بن مريم، وافتقدنا الإنجيل وأنتم العلماء فما عندكم؟ فقال لهم ألوقا ومرقا بوس: إن الإنجيل في صدورنا ونحن نخرجه إليكم سفرا سفرا في كل أحد فلا تحزنوا عليه، ولا تخلوا الكنائس، فأنا سنتلوه عليكم في كل أحد سفرا سفرا حتى نجمعه كفه، فقعد ألوقا ومرقا بوس ويوحنا ومتى فوضعوا لكم هذا ألا نجيل

بعدما افتقدتم الإنجيل الأول، وإنما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ التلاميذ الأولين، أعلمت ذلك؟ قال الجاثليق: أما هذا فلم أعلمه وقد علمته الآن، وقد بان لي من فضل علمك بالإنجيل،وسمعت أشياء مما علمته شهد قلبي أنها حق فاستزدت كثيرا من الفهم، فقال له الرضا (ع): فكيف شهادة هؤلاء عندك قال: جائزة، هؤلاء علماء الإنجيل، وكل ما شهدوا به فهو حق فقال الرضا (ع) للمأمون ومن حضره من أهل بيته ومن غيرهم: اشهدوا عليه، قالوا: قد شهدنا

ثم قال للجاثليق: بحق الابن وأمه هل تعلم أن متى

قال: (إن المسيح هو ابن داو ود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب بن يهودا بن حضرون) وقال مر قابوس في نسبة عيسى ابن مريم: (إنه كلمة الله أحلها في الجسد الآدمي فصارت إنسانا) وقال ألوقا: (إن عيسى بن مريم وأمه كانا إنسانين من لحم ودم فدخل فيهما روح القدس (ثم إنك تقول من شهادة عيسى على نفسه: (حقا أقول لكم يا معشر الحواريين: انه لا يصعد إلى السماء إلا من نزل منها إلا راكب البعير خاتم الأنبياء فإنه يصعد إلى السماء وينزل، فما تقول في هذا القول؟ قال الجاثليق: هذا قول عيسى لا ننكره، قال الرضا (ع): فما تقول في شهادة ألوقا و مرقا بوس ومتّى على عيسى وما نسبوه إليه؟ تال الجاثليق: كذبوا على عيسى، قال الرضا (ع): يا قوم أليس

قد زكاهم وشهد أنهم علماء الإنجيل وقولهم حق

فقال الجاثليق: يا عالم المسلمين أحب أن تعفيني من أمر هؤلاء، قال الرضا (عليه السلام): فإنا قد فعلنا، سل يا نصراني عما بدا لك، قال الجاثليق ليسألك غيري، فلا وحق المسيح ما ظننت أن في علماء المسلمين مثلك. فالتفت الرضا (ع) إلى رأس الجالوت فقال له: تسألني أو أسألك فقال: بل أسألك، ولست أقبل منك حجة إلا من التوراة، أو من الإنجيل ، أو من زبور داود، أو بما في صحف إبراهيم وموسى، قال الرضا (ع): لا تقبل مني حجة إلا بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران، والإنجيل على لسان عيسى بن مريم، والزبور على لسان داود؟ فقال رأس الجالوت: من أين تثبت نبوة محمد؟ قال الرضا ،ع شهد بنبوته موسى بن عمران وعيسى بن مريم وداود خليفة الله عر وجل في الأرض فقال له: ثبت قول موسى ابن عمران، قال الرضا (ع) هل تعلم يا يهودي أن موسى ابن عمران أوصى بني إسرائيل فقال لهم: إنه سيأتيكم نبي من إخوانكم، فبه فصدقوا ومنه فاسمعوا، فهل تعلم أن لبني إسرائيل اخوة غير ولد إسماعيل، إن كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل، والنسب الذي بينهما من قبل إبراهيم؟ فقال رأس الجالوت: هذا قول موسى لا ندفعه،

نعم إني به لعارف، قال (ع): فإنه قال وكتابكم ينطق به جاء الله بالبيان من جبل فاران، وامتلأت السماوات من تسبيح أحمد وأفته، يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر، يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس (يعني بالكتاب القرآن، أتعرف هذا وتؤمن به؟ قال رأس الجالوت قد قال ذلك حيقوق النبي ولا ننكر قوله، قال الرضا ،ع، فقد قال داو ود في زبوره وأنت تقرؤه: (اللّهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة) فهل تعرف نبيا أقام السنة بعد الفترة غير محمد؟ قال رأس الجالوت هذا قول داو ود نعرفه ولا ننكره، ولكن عنى بذلك عيسى، وأيامه هي الفترة، قال له الرضا (ع): جهلت، إن عيسى لم يخالف السنة، وكان موافقا لسنة التوراة حتى رفعه الله إليه، وفي الإنجيل مكتوب: إن ابن البرة ذاهب والبارقليطا جاء من بعده، وهو يخفف الآصار ، ويفسر لكم كل شيء، ويشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال، وهو يأتيكم بالتأويل، أتؤمن بهذا في الإنجيل؟ قال: نعم، لا أنكره: فقال له الرضا ،ع، يا رأس الجالوت أسألك عن نبيك موسى بن عمران، فقال سل، قال (ع): ما الحجة على أن موسى ثبتت نبوته؟ قال اليهودي: إنه جاء بما لم يجيء به أحد من الأنبياء قبله، قال له مثل ماذا؟ قال: مثل فلق البحر، وقلبه العصا حية تسعى وضربه الحجر فانفجرت منه العيون

وإخراجه يده بيضاء للناظرين، وعلامات لا يقدر الخلق على مثلها

قال له الرضا (ع): صدقت في أنه كانت حجته على

نبوته أنه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله، أفليس كل من ادعى أنه نبي ثم جاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه؟ قال: لا، لأن موسى لم يكن له نظير لمكانه من ربه، وقربه منه، ولا يجب علينا الإقرار بنبوة من ادعاها حتى يأتي من الأعلام بمثل ما جاء به، قال الرضا ع: فكيف أقررتم الأنبياء الذين كانوا قبل موسى ولم يفلقوا البحر، ولم يفجروا من الحجر اثنتي عشرة عينا، ولم يخرجوا بأيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء، ولم يقلبوا العصا حية تسعى؟ قال له اليهودي: قد خبرتك أنه متى ما جاءوا على نبوتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ولو جاءوا بما لم يجيء به موسى أو كان على غير ما جاء به موسى وجب تصديقهم، قال: قال الرضا (ع): يا رأس الجالوت فما يمنعك من الإقرار بعيسى بن مريم وقد كان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمة والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله؟ قال رأس الجالوت: يقال إنه فعل ذلك، ولم نشهده، قال الرضا ،ع أرأيت ما جاء به موسى من الآيات شاهدته؟ أليس إنما جاءت الأخبار من ثقات اصحاب موسى أنه فعل

ذلك؟ قال: بلى، قال: فكذلك أيضا أتتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم، فكيف صدقتم بموسى ولم تصدقوا بعيسى؟ فلم يحر جوابا ، قال الرضا (ع) وكذلك أمر محمد (ص) وما جاء به، و أمر كل نبي بعثه الله، ومن آياته أنه كان يتيما فقيرا راعيا أجيرا لم يتعلم كتابا ولم يختلف إلى معلم ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء وأخبارهم حرفا حرفا، وأخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة، ثم كان يخبرهم بأسرارهم وما يعملون في بيوتهم، وجاء بآيات لا تحصى، قال رأس الجالوت: لم يصح عندنا خبر عيسى ولا خبر محمد؟ ولا يجوز لنا أن نقر لهما بما لم يصح، قال الرضا (عليه السلام): فالشاهد الذي شهد لعيسى ولمحمد صلى الله عليهما شاهد زور؟ فلم يحر جوابا

الهربذ الأكبر.. لم يجد جوابا

ثم دعى الهربذ الأكبر فقال له الرضا (ع): أخبرني

عن ذر هشت الذي تزعم أنه نبي ما حجتك على نبوته؟ قال إنه أتى بما لم يأ تنا به أحد قبله ولم نشهده ولكن الأخبار من أسلافنا وردت علينا بأنه أحل لنا ما لم يحله غيره فاتبعناه قال: أفليس إنما أتتكم الأخبار فاتبعتموه؟ قال. بلى، قال فكذلك سائر الأمم السالفة أتتهم الأخبار بما أتى به النبيون وأتى به موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم،

فما عذركم في ترك الإقرار لهم؟ إذ كنتم إنما أقررتم بذر هشت من قبل الأخبار المتواترة بأنه جاء بما لم يجيء به غيره، فانقطع الهربذ مكانه

الإمام (ع) يبحث عن المعارض

فقال الرضا (ع): يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام و أراد أن يسأل فليسأل غير محتشم، فقام إليه عمران الصابئ وكان واحدا من المتكلمين فقال: يا عالم الناس لولا أنك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل فلقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة ولقيت المتكلمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحدا ليس غيره قائما بوحدانيته، افتأذن لي أن أسألك؟ قال الرضا (ع): إن كان في الجماعة عمران الصابئ فأنت هو، قال: أنا هو، قال سل يا عمران وعليك بالنصفة، وإياك و الخطل والجور قال:والله يا سيدي ما أريد إلا أن تثبت لي شيئا أتعلق به فلا أجوزه، قال: سل عما بدا لك، فازدحم الناس وانضمم بعضهم إلى بعض، فقال عمران الصابئ: أخبرني عن الكائن الأول وعما خلق، قال: سألت فافهم، أما الواحد فلم يزل واحدا كائنا لا شيء معه بلا حدود ولا أعراض ولا يزال كذلك، ثم خلق خلقا مبتدعا مختلفا بأعراض

وحدود مختلفة، لا في شيء أقامه، ولا في شيء حده، ولا على شيء حذاه ومثله له، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوة، واختلافا وائتلافا، وألوانا وذوقا وطعما، لا لحاجة كانت منه إلى ذلك، ولا لفضل منزلة لا يبلغها إلا به، ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصانا، تعقل هذا يا عمران؟ قال: نعم والله يا سيدي

قال: وأعلم يا عمران إنه لو كان خلق ما خلق لحاجة

لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته، ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق، لأن الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى، والحاجة يا عمران لا يسعها لأنه لم يحدث من الخلق شيئا إلا حدثت فيه حاجة أخرى، ولذلك أقول: لم يخلق الخلق لحاجة، ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم إلى بعض، وفضل بعضهم على بعض بلا حاجة منه إلى من فضل، ولا نقمة منه على من أذل فلهذا خلق

قال عمران: يا سيدي هل كان الكائن معلوما في نفسه

عند نفسه؟ قال الرضا (ع): إنما يكون المعلمة بالشيء لنفي خلافه، وليكون الشيء نفسه بما نفي عنه موجودا، ولم يكن هناك شيء يخالفه فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نفسه بتحديد ما علم منها، أفهمت يا عمران؟ قال: نعم والله يا سيدي، فأخبرني بأي شيء علم ما علم

أبضمير أم بغير ذلك؟ قال الرضا (ع): أرأيت إذا علم بضمير هل تجد بدا من أن تجعل لذلك الضمير حدا تنتهي إليه المعرفة؟ قال عمران: لا بد من ذلك، قال الرضا ،ع، فما ذلك الضمير؟ فانقطع عمران ولم يحر جوابا. قال الرضا (ع): لا بأس إن سألتك عن الضمير نفسه تعرفه بضمير آخر، فقلت: نعم أفسدت عليك قولك ودعواك، يا عمران أليس ينبغي أن تعلم أن الواحد ليس يوصف بضمير وليس يقال له أكثر من فعل وعمل وصنع؟ وليس يتوهم منه مذاهب وتجربة كمذاهب المخلوقين وتجربتهم؟ فاعقل ذلك وابن عليه ما علمت صوابا

قال عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن حدود خلقه كيف

هي؟ وما معانيها؟ وعلى كم نوع تكون؟ قال: قد سألت فافهم، إن حدود خلقه على ستة أنواع: ملموس وموزون ومنظور إليه وما لا ذوق له وهو الروح، ومنها منظور إليه وليس له وزن ولا لمس ولا حس ولا لون ولا ذوق والتقدير والأعراض والصور والطول والعرض، ومنها العمل والحركات التي تصنع الأشياء وتعملها وتغيرها من حال إلى حال وتزيدها وتنقصها، فأما الأعمال والحركات فإنها تنطلق لأنه لا وقت لها اكثر من قدر ما يحتاج إليه، فإذا فرغ من الشيء انطلق بالحركة وبقي الأثر، ويجري مجرى الكلام الذي يذهب ويبقى أثره

قال له عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن الخالق إذا

كان واحدا لا شيء غيره ولا شيء معه أليس قد تغير بتغييره. قال عمران: فبأي شيء عرفناه؟ قال: بغيره. قال: فأي شيء غيره؟ قال الرضا (ع): مشيته واسمه وصفته وما أشبه ذلك، وكل ذلك محدث مخلوق مدبر، قال عمران: يا سيدي فأي شيء هو؟ قال: هو نور بمعنى أنه هاد لخلقه من أهل السماء وأهل الأرض وليس لك علي أكثر من توحيدي إياه

قال عمران: يا سيدي أليس قد كان ساكتا قبل الخلق

لا ينطق ثم نطق؟ قال الرضا (ع): لا يكون السكوت إلا عن نطق قبله. والمثل في ذلك أنه لا يقال للسراج: هو ساكت لا ينطق، ولا يقال: إن السراج ليضيء فيما يريد أن يفعل بنا، لأن الضوء من السراج ليس بفعل منه ولا كون، وإنما هو ليس شيء غيره، فلما استضاء لنا قلنا: قد أضاء لنا حتى استضأنا به، فهذا تستبصر أمرك

قال عمران: يا سيدي فإن الذي كان عندي أن الكائن

قد تغير عن فعله عن حاله بخلقه الخلق، قال الرضا ،ع أحلت يا عمران في قولك، إن الكائن يتغير في وجه من الوجوه حتى يصيب الذات منه ما يغيره، يا عمران هل تجد النار يغيرها تغير نفسها؟ أو هل تجد الحرارة تحرق نفسها أو هل رأيت بصيرا قط رأى بصره؟ قال عمران: لم أر هذا

ألا تخبرني يا سيدي أهو في الخلق أم الخلق فيه؟ قال الرضا عليه السلام جل يا عمران عن ذلك، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه، تعالى عن ذلك، وسأعلمك ما تعرفه به ولا قوة إلا بالله، أخبرني عن المرآة أنت فيها أم هي فيك؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأي شيء استدللت بها على نفسك؟ قال عمران: بضوء بيني وبينها قال الرضا عليه السلام: هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر مما شراه في عينك؟ قال: نعم، قال الرضا عليه السلام: فأرناه، فلم يحر جوابا ، قال عليه السلام :فلا أرى النور إلا وقد دلك و دل المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالا، ولله المثل الأعلى

أداء الصلاة.. ثم العودة إلى المناظرة

ثم التفت إلى المأمون فقال: الصلاة قد حضرت

فقال عمران: يا سيدي لا تقطع علي مسألتي فقد رق قلبي قال الرضا عليه السلام: نصلي ونعود، فنهض ونهض المأمون فصلى الرضا (ع) داخلا، وصلى الناس خارجا خلف محمد بن جعفر، ثم خرجا فعاد الرضا ،عليه السلام إلى مجلسه ودعا بعمران فقال: سل يا عمران، قال: يا سيدي ألا تخبرني عن الله عز وجل هل يوحد بحقيقة أو يوحد بوصف؟ قال الرضا (ع): إن الله المبدىء الواحد الكائن الأول لم

يزل واحدا لا شيء معه، فردا لا ثاني معه، لا معلوما ولا مجهولا، ولا محكما ولا متشابها، ولا مذكورا ولا منسيا، ولا شيئا يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره، ولا من وقت كان، ولا إلى وقت يكون، ولا بشيء قام، ولا إلى شيء يقوم، ولا إلى شيء استند، ولا في شيء استكن وذلك كله قبل الخلق إذ لا شيء غيره، وما أوقعت عليه من الكل فهي صفات محدثة وترجمة يفهم بها من فهم، واعلم أن الإبداع والمشية والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة وكان أول إبداعه وإرادته ومشيته الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء، ودليلا على كل مدرك، وفاصلا لكل مشكل، وبتلك الحروف تفريق كل شيء من اسم حق وباطل، أو فعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى وعليها اجتمعت الأمور كلها، ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها يتناهى ولا وجود لها لأنها مبدعة بالإبداع، والنور في هذا الموضع أول فعل الله الذي هو نور السماوات والأرض، والحروف هي المفعول بذلك الفعل، وهي الحروف التي عليها الكلام والعبارات كلها من الله عز وجل، علمها خلقه وهي ثلاثة وثلاثون حرفا، فمنها ثمانية وعشرون حرفا تدل على لغات السريانية والعبرانية، ومنها خمسة أحرف متحرفة في سائر اللغات من العجم لأقاليم اللغات كلها، وهي خمسة أحرف تحرفت من الثمانية والعشرين حرفا من اللغات فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين

حرفا، فأما الخمسة المختلفة فحجج لا يجوز ذكرها أكثر مما ذكرناه، ثم جعل الحروف بعد إحصائها وإحكام عدّتها فعلا منه كقوله عّز وجل: (كن فيكون) وكن منه صنع وما يكون به ا المصنوع فالخلق الأول من الله عز وجل الإبداع لا وزن له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حس والخلق الثاني الحروف لا وزن لها ولا لون وهي مسموعة موصوفة غير منظور إليها، والخلق الثالث ما كان من الأنواع كلها محسوسا ملموسا ذا ذوق منظور إليه، والله تبارك وتعالى سابق للإبداع لأنه ليس قبله عز وجل شيء، ولا كان معه شيء، والإبداع سابق للحروف والحروف لا تدل على غير نفسها

قال المأمون: وكيف لا تدل على غير نفسها؟ قال

الرضا (ع). لأن الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئا لغير معنى أبدا، فإذا ألف منها أحرفا أربعة أو خمسة أو ستة أو اكثر من ذلك أو أقل لم يؤلفها لغير معنى، ولم يك إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيئا

قال عمران: فكيف لنا بمعرفة ذلك؟ قال

الرضا (ع): أما المعرفة فوجه ذلك وبيانه أنك تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير نفسها ذكرتها فردا فقلت: أب ت ث ج ح خ حتى تأتي على آخرها، فلم تجد لها معنى غير أنفسها، فإذا ألفتها وجمعت منها أحرفا وجعلت اسما وصفة لمعنى ما

طلبت ووجه ما عنيت كانت دليله على معانيها، داعية إلى الموصوف بها، أفهمته؟ قال: نعم، قال الرضا (ع): واعلم أنه لا تكون صفة لغير موصوف، ولا اسم لغير معنى ولا حد لغير محدود، والصفات والأسماء كفها تدل على الكمال والوجود، ولا تدل على الإحاطة، كما تدل على الحدود التي هي التربيع والتثليث و التسديس ، لأن الله عز وجل تدرك معرفته بالصفات والأسماء، ولا تدرك بالتحديد بالطول والعرض والقلة والكثرة واللون والوزن وما أشبه ذلك وليس يحل بالله جل وتقدس شيء من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم بالضرورة التي ذكرنا، ولكن يدل على الله عز وجل بصفاته، ويدرك بأسمائه، ويستدل عليه بخلقه حتى لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد إلى رؤية عين ولا استماع أذن ولا لمس كف ولا إحاطة بقلب، فلو كانت صفاته جل ثناؤه لا تدل عليه وأسماؤه لا تدعو إليه والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه، فلولا أن ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غير الله، لأن صفاته وأسماءه غيره، أفهمت؟ قال: نعم يا سيدي زدني

قال الرضا (ع): إياك وقول الجهال أهل العمى والضلال الذين يزعمون أن الله جل وتقدس موجود في

الآخرة للحساب والثواب والعقاب، وليس بموجود في الدنيا للطاعة والرجاء، ولو كان في الوجود لله عر وجل نقص واهتضام لم يوجد في الآخرة أبدا، ولكن القوم تاهوا وعموا وصموا عن الحق من حيث لا يعلمون، وذلك قوله عز وجل: (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا)يعني أعمى عن الحقائق الموجودة، وقد علم ذوو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما ههنا، من أخذ علم ذلك برأيه وطلب وجوده وإدراكه عن نفسه دون غيرها لم يزدد من علم ذلك إلا بعدا، لأن الله عر وجل جعل علم ذلك خاصة عند قوم يعقلون ويعلمون ويفهمون

قال عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن الإبداع أخلق

هو أم غير خلق؟ قال له الرضا (ع): بل خلق ساكن لا يدرك بالسكون، وإنما صار خلقا لأنه شيء محدث، والله الذي أحدثه فصار خلقا له، وإنما هو الله عز وجل وخلقه لا ثالث بينهما، ولا ثالث غيرهما، فما خلق الله عز وجل لم يعد أن يكون خلقه، وقد يكون الخلق ساكنا ومتحركا ومختلفا أو مؤتلفا ومعلوما و متشابها، وكل ما وقع عليه حد فهو خلق الله عز وجل، واعلم أن كل ما أوجدتك الحواس فهو معنى مدرك للحواس، وكل حاسة تدل على ما جعل الله عز وجل لها في إدراكها، والفهم من القلب بجميع ذلك كله. واعلم إن الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد

خلق خلقا مقدرا بتحديد وتقدير، وكان الذي خلق خلقين أثنين: التقدير والمقدر، وليس في واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق فجعل أحدهما يدرك بالآخر، وجعلهما مدركين بنفسهما، ولم يخلق شيئا فردا قائما بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده، فالله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده ولا يكنه والخلق يمسك بعضه بعضا بإذن الله ومشيته، وإنما اختلف الناس في هذا الباب حتى تاهوا وتحيروا وطلبوا الخلاص من الظلمة بالظلمة في وصفهم الله بصفة أنفسهم فازدادوا من الحق بعدا، ولو وصفوا الله عز وجل بصفاته ووصفوا المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفهم واليقين ولما اختلفوا، فلما طلبوا من ذلك ما تحيروا فيه ارتبكوا فيه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

قال عمران : يا سيدي أشهد أنه كما وصفت، ولكن

بقيت لي مسألة، قال: سل عما أردت، قال: أسألك عن الحكيم في أي شيء هو؟ وهل يحيط به شيء؟ وهل يتحول من شيء إلى شيء، أو به حاجة إلى شيء؟ قال الرضا (ع): أخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه فإنه من اغمض ما يرد على المخلوقين في مسائلهم، وليس يفهمه المتفاوت عقله العازب حلمه، ولا يعجز عن فهمه أولو العقل المنصفون، أما أول ذلك فلو كان خلق ما خلق لحاجة

منه لجاز لقائل أن يقول: يتحول إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك، ولكنه عز وجل لم يخلق شيئا لحاجة، ولم يزل ثابتا لا في شيء ولا على شيء إلا أن الخلق يمسك بعضه بعضا، ويدخل بعضه في بعض، ويخرج منه، والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله، وليس يدخل في شيء ولا يخرج منه، ولا يؤوده حفظه، ولا يعجز عن إمساكه، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلا الله عز وجل، ومن أطلعه عليه من رسله، وأهل سره و المستحفظين لأمره، وخزانه القائمين بشريعته، و إنما أمره كلمح بالبصر أو هو أقرب،إذا شاء شيئا فإنما يقول له: كن فيكون بمشيئته وإرادته، وليس شيء من خلقه أقرب إليه من شيء، ولا شيء أبعد منه من شيء أفهمت يا عمران؟ قال: نعم يا سيدي قد فهمت واشهد أن الله على ما وصفته و وحدته، وأن محمدا عبده المبعوث بالهدى ودين الحق. ثم خر ساجدا نحو القبلة وأسلم ،وهكذا ختام المؤتمر

قال الحسن بن محمد النوفلي فلما نظر المتكلمون إلى كلام عمران الصابئ وكان جدلا لم يقطعه عن حجته أحد قط لم يدن من الرضا (ع) أحذ منهم، ولم يسألوه عن شيء،وأمسينا، فنهض المأمون والرضا (ع) فدخلا وانصرف

الناس، وكنت مع جماعة من أصحابنا إذ بعث إلي محمد بن جعفر فأتيته فقال لي: يا نوفلي أما رأيت ما جاء به صديقك، لا والله ما ظننت أن علي بن موسى (ع) خاض في شيء من هذا قط ولا عرفناه به، إنه كان يتكلم بالمدينة أو يجتمع إليه أصحاب الكلام؟ قلت: قد كان الحاج يأتونه فيسألونه عن أشياء من حلالهم و حرامهم فيجيبهم، وربما كلم من يأتيه يحاجه

١٢٣